

أخبار أبي قتيبة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط . وأسم أبي مُعَيْط أَبَانُ بن أبي عمرو
ابن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصَي بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب
ابن لُؤَي بن غالب بن فِهْر — وإليه تعود قبائل قريش ^(١) — بن مالك بن النضر
ابن كِنانة بن خزيمة بن مُدركة بن اليأس ^(٢) بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَد بن عدنان .
قلتُ : إلى هنا أنتهى المعلوم من عمود النسب ، وما بعد ذلك إلى إسماعيل
ابن إبراهيم فغير معلوم . وقد اختلف النسابون فيه اختلافاً كثيراً . وقد ذكر
أبو الفرج بعض ما قيل ، فلا حاجة إلى ذكره ، إذ كان غير موثوق به .
قال أبو الفرج : ذكر الهيثم بن عدي ^(٣) في كتاب المثالب ^(٤) أن أبا عمرو بن
أُمَيَّة كان عبداً لأُمَيَّة ، وأسمه ذَكْوَان ، فاستلحقه .

شيء عن أبي عمرو
ابن أُمَيَّة

وذكر أن دَغْفَلَ ^(٥) النسابة دخل على معاوية فقال : مَنْ رأيت من عِلِيَّة

- (١) هذا رأى القلة من النسابين . أما كثرتهم فعلى أن النضر هو أصل قريش .
- (٢) قال الزبيدي : «يحمل بعضهم» «اليأس بن مضر» على «إلياس» الذي في هزأوله .
والصواب في «اليأس بن مضر» أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين ، كزيادتهما في الفضل والعباس ،
وأنهما داخلتان على المصدر الذي هو اليأس ، وقد تسهل هزته الثانية ، فيقال فيه : الياس .
أما «إلياس» الذي ، فهو يقطع الهزمة الأولى مفتوحة أو مكسورة . وعبرة ابن منظور : «وإلياس اسم
أعجمي ، وقد سمت به العرب» .
- (٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن . إخباري راوية . ولد بالكوفة قبل
سنة ثلاثين ومائة . ومات سنة تسع ومائتين . وقيل : سبع . (انظر إرشاد الأريب) .
- (٤) هو كتاب المثالب الكبير . ذكره ياقوت كما ذكره ابن النديم بين مصنفات كثيرة للهيثم .
- (٥) هو دغفل بن حنظلة — وقيل حجر — بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو
بن شيبان . اختلفوا في صحبته . مات غريقاً في يوم دولا ب . (انظر الاستيعاب ، والإصابة
والطبقات لابن سعد ، والفهرست لابن النديم) .

قُرَيْش؟ قال: رأيتُ عبدَ المطلب بنَ هاشم، وأمّيةَ بنَ عبدِ شمس. قال: صِفْهُمَا لِي. قال: كان عبدُ المطلب أبيضَ مديدَ القامةِ حَسَنَ الوجه، في وجهه (١) نورُ النبوة وعزُّ الملك، يُطِيفُ به عَشْرَةٌ مِنْ بَنِيهِ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ غَابَ. قال: فَصِفْ أُمّية. قال: رأيتُهُ شَيْخًا قَصِيرًا نَحِيفَ الجِسمِ ضَرِيرًا يَقُودُهُ عَبْدُهُ ذَكَوَان. فقال: مَهْ! ذَلِكَ أُنْجُو أَبُو عَمْرٍو. قال: هَذَا شَيْءٌ قَلْتُمُوهُ بَعْدُ وَأَحْدَثُمُوهُ، فَأَمَّا (٢) الَّذِي عَرَفْتُ فَهُوَ الَّذِي أَخْبَرْتُكَ بِهِ.

وولدُ أليّاس بن مُضر يُقالُ لَهُمْ: خِنْدِف، وَتُسمَوُا بِأُمِّهِمْ خِنْدِفَ، وَهُوَ لَقَبُهَا. وَاسْمُهَا كَيْلَى بِنْتُ خُلَوَان (٣) بنِ عِمْران بنِ الحُفّافِ بنِ قُضاعة. وَهِيَ أُمُّ مُدْرِكَةَ، وَطائِحَةُ، وَقَمْعَةُ (٤)، بَنَى أليّاس.

الأعياص
والعنابس

وَكَانَ لِأُمّيةَ بنِ عبدِ شمسِ أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا، وَهُمْ: العاص، وَأَبُو العاص، وَالْعِيص، وَأَبُو الْعِيص، وَالْعَوَيْص — وَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ: الْأَعْيَاصُ — وَحَرْبٌ، وَأَبُو حَرْبٍ، وَسُفْيَانٌ، وَأَبُو سُفْيَانٍ، وَعَمْرُو، وَأَبُو عَمْرٍو. وَيُقَالُ لَهُمُ الْعَنَابِسُ؛ لِأَنَّهُمْ ثَبَتُوا مَعَ أَخِيهِمْ حَرْبٌ بِنِ أُمّيةَ بَعْمَكَظَ وَعَقَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَشَبَّهُوا بِالْأُسْدِ. وَالْأُسْدُ يُقَالُ لَهَا: الْعَنَابِسُ، وَاحِدُهَا عَنَابَسَةٌ. وَفِي الْأَعْيَاصِ يَقُولُ عَبْدِ اللَّهِ بنُ فَضَالَةَ:

وفود ابن فضالة
على ابن الزبير

مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
قِيلَ: أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بنَ فَضَالَةَ الْوَالِيَّ ثَمَّ الْأَسَدِيَّ، مِنْ أُسْدِ بنِ خُزَيْمَةَ، عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: نَفِدَتْ نَفَقَتِي، وَنَقَبْتُ رَاحِلَتِي (٥). فَقَالَ: أَحْضِرْهَا. فَأَحْضَرَهَا.

(١) رواية بعض أصول الأغاني: «في جبينه».

(٢) رواية بعض أصول الأغاني: «ولما».

(٣) في السيرة لابن هشام: «وخندف بنت عمران».

(٤) اسم مدركة: عامر. واسم: طائحة: عمرو. واسم قمعة: عمير. وقد ذكر ابن هشام العلة في تلقّيهم بهذه الألقاب.

(٥) نقبت الراحلة: رقت أخفافها وحفيت، حتى يتمزق فرسها. وفي حديث أبي موسى: «فنقبت أقدامنا» أي رقت جلودها وتنقطت من المشي.

فقال: أَقْبِلْ بها، أَدْبِرْ بها. ففعل. فقال: أَرْقَعُهَا بِسَبْتٍ^(١)، واخْصِفْهَا بِهَلْبٍ^(٢)، وَأَنْجِدْ^(٣) بها يَبْرُذُ خُفُّهَا، وَسِرْ بها الْبَرْدَيْنِ^(٤) تَصِحَّ. فقال: إني أَتَيْتُكَ مُسْتَحِمًّا ولم آتِكَ مُسْتَوْصَفًا، فلعن الله ناقةً حملتني إليك. فقال: إِنَّ ورا كَبْها. فانصرف عنه ابنُ فُضالة، وقال:

أَقُولُ لِفِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي أَجَاوِزُ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادٍ^(٥)
فَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِي إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادٍ^(٦)
سَيُبْعَدُ بَيْنَنَا نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِقُ الْأَدَاوَى وَالْمَزَادُ^(٧)

(١) السبت، بالكسر: كل جلد مدبوغ، وخص بعضهم به جلود البقر، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة. قال الأزهري: كأنها سميت سبتية، لأن شعرها قد سبت عنها، أي حلق وأزيل.

(٢) الهلب، بالضم: الشعر كله، وقيل: هو في الذنب وحده، وقيل: هو ما غلظ من الشعر. وزاد الأزهري: كشعر ذنب الناقة. وقال الجوهري: هو شعر الخنزير الذي يخرز به. واخْصِفْها، أي ضمها واخرزها.

(٣) أنجد الرجل: ارتفع وأقى النجد من الأرض، وهو المرتفع، وهو أبرد من الغور.

(٤) البردان: الغداة والعشي، كالأبردين. والرواية في الأغاني: «وسر البردين».

(٥) نسب البغدادى في الخزانة (٢: ١٠٠ - ١٠٣) هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي. وذكره أبو الفرج في الأغاني (١٠: ١٧٣ طبعه بلاق) منسوباً لفضالة ابن شريك.

(٦) ذات عرق: مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة. وقيل: عرق: جبل بطريق مكة، ومنه: ذات عرق. وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرمة، فهو نجد إلى ثنایا ذات عرق. وعرق: هو الجبل المشرف على ذات عرق. والكاھليّة: زهراء بنت خثراء، امرأة من بني كاهل بن أسد، وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى. (انظر معجم البلدان، والأغاني ١٠: ١٧٣ طبعه بلاق).

(٧) النص: ضرب من السير سريع. وهو في الأصل: منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها. والأدوى: جمع إداوة، وهي إناء صغير من جلد يتخذ للماء، وقيل: إنما تكون إداوة، إذا كانت من جلدین قوبل أحدهما بالآخر. وكان قياس الجمع: أدائي، مثل رسالة ورسائل، فتجنبوه وفعلوا به ما فعلوا بالمطايا والخطايا، فجعلوا فعائل فعالي وأبدلوا هـا الواو ليدل على أنه قد كانت في الواحد واوا ظاهرة، فقالوا: أدوى. فهذه الواو بدل من الألف الزائدة في إداوة، والألف التي في آخر الأدوى بدل من الواو التي في إداوة، وألزموا الواو هاهنا كما ألزموا الياء في مطايا.

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نُكِدْنَ ولا أُمِيَّةَ في البلادِ
من الأغيص أو من آل حَرْبٍ أغرَّ كفرةَ الفرسِ الجَوَادِ

كان عبد الله بن الزُّبير يُكنى أبا خُبَيْبٍ ، وأبا بكر ، وأبو بكر هو المعروف .
ولم يكن يَكْنِيه أباخُبَيْبٍ إلّا من أراد ذمّه ، فيجعله كاللَّقَب له ^(١) . فقال ابن الزُّبير ،
لَمّا بلغه الشعرُ : عَلِمَ أنها شرُّ أُمّهاتِي فعَيَّرَنِي بها ، وهى خيرُ عَمّاتِهِ ^(٢) .
ولفظه « إن » هاهنا بمعنى نعم .

مقتل ابن أبي
معيط والنضر

وكان عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ أحدَ الأسراءِ يوم بدر ، فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بقتله . فقتل بين يديه صَبْرًا ^(٣) . وكان الذى تولى قتله على بن أبي طالب
رضى الله عنه ؛ وقيل : بل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأُفْلَحِ الأنصارى . ثم أقبل
رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالصفراء ^(٤) أمر على بن أبي طالب ،
فَضْرَبَ عُنُقَ النَّضْرِ بن الحارث بن كَلْدَةَ ، أحدَ بنى عَبْدِ الدَّارِ ، فقتل
بين يديه صَبْرًا .

قلتُ : لم يقتل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من الأسرى غير هذين ، وكنا
شديدى العداوة لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم . فأَمّا عُقْبَةُ فإنه أتى النّبىَّ صَلَّى الله عليه وسلم ، وهو يصلى فى الحِجْر ، فوضع ثوبه فى عُنقه وخنقه به خنقًا شديدًا .

(١) قال الثعالبي فى لطائف المعارف : « كان لابن الزبير ثلاث كنى : أبو خبيب ، وأبو بكر ، وأبو عبد الرحمن . وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب » .

(٢) فى الخزانة (٢ : ١٠٠) : « لو علم أن لى أما أحسن من عمته الكاهلية لنسبني إليها » .

(٣) الصبر : نصب الإنسان للقتل . يقال : قتله صبرا ، وقد صبره عليه . وقيل

للرجل يقدم فيضرب عنقه : قتل صبرا ، يعنى أمسك على الموت . قال أبو عبيد : وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبرا . وأصل الصبر الحبس . وفى الحديث : إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل شيء من الدواب صبرا . قيل : هو أن يمسك الطائر أو غيره من ذوات الروح يصبر حيًا ، ثم يرمى بشيء حتى يقتل .

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ !
وَأَمَّا النَّضْرُ فَكَانَ إِذَا تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشِ الْقُرْآنِ
قَالَ : إِنَّ مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَيَقُومُ فَيُحَدِّثُهُمْ بِأَخْبَارِ مَلُوكِ
الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ .

وَلَمَّا قَدَّمَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لِلْقَتْلِ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا خَاصَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ بَعْدِي ؟ قَالَ : النَّارُ . فَلِذَلِكَ سُمِّيَ بَنُو أَبِي مُعَيْطٍ : صَبِيَّةَ النَّارِ .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ : قُتِلَ النَّضْرُ بِالْأَثِيلِ ^(١) .

وَلَمَّا قُتِلَ النَّضْرُ قَالَتْ أُخْتُهُ ^(٢) قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ تَرْتِيهِ :

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَةٌ مِنْ صُبْحٍ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
بَلَّغْ ^(٣) بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ ^(٤) تَحِيَّةَ مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرَّكَائِبُ تَحْفَقُ
مَنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ بِوَادِرِهَا ^(٥) وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعُنَ ^(٦) النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ هَالِكٌ أَوْ يَنْطُقُ
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ اللَّهُ أَرْحَمُ هُنَاكَ تُشَقِّقُ
صَبْرًا ^(٧) يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُتَعَبًا رَسَفَ ^(٨) الْمَقِيدَ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، بين بدر ووادي الصفراء . (انظر ياقوت) .

(٢) قال ياقوت : هي ابنته . وكذا في حماسة أبي تمام والبحترى .

(٣) في حماسة البحرى : : «أبلغ» .

(٤) في حماسة البحرى : : «بأن» .

(٥) في حماسة أبي تمام : «جادت لمائحها» . وفي حماسة البحرى : «جادت بوابلها» .

(٦) في حماسة أبي تمام : «فليسمع» .

(٧) في حماسة البحرى : «قسرا» . والبيت ساقط من حماسة أبي تمام .

(٨) في حماسة البحرى : «رتك» . والرتك : مشية فيها اهتزاز ، يستعمل في الإبل

وفي غيرها ، إلا أنه في الإبل أكثر .

أحمدٌ ولأنتَ نسلٌ^(١) نجيةٌ في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقٌ
ما كان ضرركَ لو مننتَ وربما من الفتي وهو المغيظُ المحنقُ
لو كنتَ قابِلَ فديةٍ فلنأتين^(٢) بأعزَّ ما يغلو لديك وينفقُ
فالنَّضْرُ أقربُ من أخذتَ بزلَّةٍ^(٣) وأحقُّهم إن كان عتيقٌ يعْتَقُ

قال : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو سمعتُ هذا قبل
أن أقتله ما قتلته . فيقال : إن شعرها أكرمُ شعرِ مؤنثورة^(٤) وأعفه .
وقال ابن إسحاق : إن قتل عُقْبَةَ كان بعِرْقِ الطُّبِيَّةِ^(٥) .

وكان الوليدُ بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، أخا عُثْمَانَ بن عفَّان رضى الله عنه لأمه ،
أُمُّهُمَا أَرْوَى بنتُ عامر بن كُريز ، وأُمُّها أُم حَكِيم ، البَيْضَاءُ بنتُ عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم
تَوْأَمَان . وكان عُقْبَةُ تزوج أَرْوَى بعد وفاة عفَّان ، فولدت له الوليدَ ، وخالداً ،
وعُمارة ، وأُم كلثوم ، كل هؤلاء إخوة عُثْمَانَ لأمه .

وولَّى عُثْمَانُ رضى الله عنه الوليدَ بن عُقْبَةَ في خلافته الكوفةَ ، فشرب الخمرَ
وصلَّى بالناس وهو سَكْرَان فزاد في الصلاة . فشهد عليه بذلك عند عُثْمَانَ ، فجلده
الحَدَّ . وسيأتى خبرُ ذلك في موضعه .

وأبو قُطَيْفَةَ بن الوليد بن عُقْبَةَ أَسْمُهُ عمرو ، ويكنى أبا الوليد . وأبو قُطَيْفَةَ
لقبٌ له . والشعر الذى لأبى قُطَيْفَةَ المصدَّر به ذِكْرُهُ ، هو :

(١) في حماسة أبي تمام : «ضن» . والضنء : الولد . وفي حماسة البحترى : «صنو» .

(٢) في حماسة البحترى : «لفديته» . والبيت ساقط من حماسة أبي تمام .

(٣) في حماسة البحترى : «أخذت وسيلة» . وفي حماسة أبي تمام : «أصبحت وسيلة» .

(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

(٥) الظبية ، بضم الظاء وسكون الباء : موضع على ثلاثة أيام ما يلى المدينة .

(انظر ياقوت) .

اسم أبي قطيفة
وكنيته ولقبه

القَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَكْنَفِ جَيْرُونَ
إِلَى الْبَلَاطِ فَمَا حَازَتْ قَرَائِنُهُ دُورٌ تَزْحَنُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُحُونِ
قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَارًا فَأَعْلَمُهَا وَلَا يَنَالُونَ حَتَّى الْمَوْتِ مَكْنُونِي

خبر قصر سعيد
ابن العاص

القصر، الذي عناه : قصرُ سعيد بن العاص بالعرصة . والنخل : نخل كان
لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء . والجماء : هي أرض كانت له، فصار جميع ذلك
لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد .

ذُكِرَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ هَذَا قَالَ لَهُ ابْنُهُ
عَمْرُو : لَوْ نَزَلْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ ! فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنْ قَوَّيْتُ لَنْ يَصْنُؤُوا عَلَيَّ بِأَنْ يَحْمِلُونِي
عَلَى رِقَابِهِمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَإِذَا أَنَا مَيِّتٌ فَأَذِمْهُمْ ، وَإِذَا وَارَيْتَنِي فَانْطَلِقْ إِلَى
مَعَاوِيَةَ فَانْعَنِي لَهُ وَانْظُرْ فِي دَيْتِي ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ سَيَعْرِضُ عَلَيْكَ قَضَاءٌ فَلَا تَفْعَلْ ،
وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ قَصْرِي هَذَا فَإِنِّي إِنَّمَا أَتَّخِذُهُ نَزْهَةً وَلَيْسَ بِمَالٍ . فَلَمَّا مَاتَ آذَنَ بِهِ
النَّاسُ ، فَحَمَلُوهُ مِنْ قَصْرِهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ . وَرَوَّاحِلُ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ مُنَاخَةٌ ، فَعَزَّاهُ
النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ وَوَدَّعَوْهُ . وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ نَعَاهُ لِمَعَاوِيَةَ ، فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَحَّمَّ عَلَيْهِ ،
وَقَالَ : هَلْ تَرَكَ دَيْنًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَمْ هُوَ ؟ قَالَ : ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفٍ [دِرْهَم] ^(١) .
قَالَ : هِيَ عَلَيَّ . قَالَ : قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ وَأَمَرَنِي إِلَّا أَقْبَلَهُ مِنْكَ ، وَأَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ
بَعْضَ مَالِهِ فَتَبْتَاعَهُ فَيَكُونَ قَضَاءً دَيْنِهِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَعْرِضْ . قَالَ : قَصْرُهُ بِالْعَرِصَةِ .
قَالَ : قَدْ أَخَذْتُهُ بِدَيْنِهِ . قَالَ : هُوَ لَكَ عَلَى أَنْ تَحْمِلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجْعَلَهَا بِالْوَأْفَةِ ^(٢) .
قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَلَهَا لَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفَرَّقَهَا فِي غُرْمَائِهِ . وَكَانَ أَكْثَرُهَا عِدَاتٍ .

فَاتَّاهُ شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ بِصَكِّ فِيهِ عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ بِشَهَادَةِ سَعِيدٍ عَلَى نَفْسِهِ

عمرو بن سعيد
وقرشي كان
يدين أباه

(١) زيادة من الأغاني عن نسخة .

(٢) الوافي : درهم وأربعة دوانق . والدائق : سدس الدرهم .

وشهادة مولى له عليه . فأرسل إلى مولاه فأقرأه الصك . فلما قرأه بكى وقال : نعم ، هذا خطه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : ومن أين يكون لهذا الفتى عشرون ألف درهم ، وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش ! قال : أخبرك عنه : مرَّ سعيدٌ بعدَ عَزَلِهِ فاعترض له هذا الفتى يمشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أنى رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أمشى معك لأصل جناحك . فقال لى : أنتنى بصحيفة . فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدين وقال : إنك لم تُصادف عندنا شيئاً فخذْ هذه ، فإذا جاءنا شيء فأتنا . فقال عمرو : لا جرم والله ، لا تأخذها إلا بالوافية ، أعطه إياها . فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

وقيل : كان الرجلُ يأتى سعيداً يسأله ولا يكون عنده ، فيقول : ما عندى ، من جود سعيد ولكن اكتب علىّ به . فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : ترَوْنى أخذتُ منه ثمنَ هذا ؟ لا ، ولكنه يحىء فيسألنى ، فينزو دُم وجهه فى وجهى فأكره رده . فأتاه مولى لقريش ببن مَولاه ، وهو غلام ، فقال : إنَّ أباً هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندى ، ولكن خذ ما شئت فى أمانتى . فلما مات سعيد ابن العاص جاء الرجل إلى عمرو ، فقال : إني قد أتيتُ أباك ببن فلان ، وأخبره القصة . فقال له عمرو : فكم أخذت ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى أعجز من هذا ؟ يقول له سعيد : خذ ما شئت فى أمانتى ، فيأخذ عشرة آلاف . والله لو أخذت مائة ألف لأديتها عنك .

و« القرائن » المذكورة فى شعر أبى قطيفة حيث يقول :

* إلى البلاط فما حازت قرائنه *

هى دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ، سُميت بذلك لاقترائها .

ذكر نفي بنى أمية عن المدينة

قيل: لما سار الحسين بن عليّ عليهما السلام إلى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذى أراحه، وكبس المَعافِرِيَّ^(١) وشبر بطنه وقال: إنما بطنى شبر، وما عسى أن يسع الشبر^(٢). وجعل يُظهر عَيْبَ بنى أمية ويدعو إلى خلافهم. فأمله يزيد ابن معاوية سنة، ثم بعث إليه عشرة من أهل الشام، عليهم الثعمان بن بشير الأنصارى^(٣). وكان أهل الشام يُسمُّون أولئك النفر العشرة الركب، وهم: عبدالله ابن عِصَاهُ الأشعرى^(٤)، ورواح بن زنباع الجذامى^(٥)، وسعد بن حمزة الهمداني، ومالك بن هُبيرة السكونى^(٦)، وأبو كبشة السكسكى^(٧).

(١) المَعافِرِيّ: نوع من الثياب ينسب إلى معافر، قبيلة من اليمن عرفت به.

(٢) يشير إلى زهده واجتزائه بالقليل.

(٣) هو أبو عبد الله الثعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة. له ولأبويه صحبة. وأمه عمرة بنت رواحة. ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان من أخطب الناس. أمره معاوية على الكوفة ثم عزله وولاه حمص. بايع لابن الزبير بعد موت يزيد، فلما تمرد أهل حمص خرج هاربا، فأتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله. وكان ذلك سنة ست وستين. (انظر تهذيب التهذيب). (٤) هذه رواية ابن عساکر. وأما ابن حجر في كتابه «الإصابة» فقد ذكر أنه عبد الله ابن عصام. ثم قال: شامى. وعرض لرواية ابن عساکر ونقل عنه أنه شهد صفين مع معاوية. وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير فى طلب البيعة، فإنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة. وقصد مكة فأدركته الوفاة.

(٥) هو أبو زرععة روح بن زنباع بن روح بن سلامى الجذامى. قال ابن حجر: ذكره بعضهم فى الصحابة، ولا تصح له صحبة، بل يجوز أن يكون ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فإن لأبيه صحبة ورواية. وكان أميرا على فلسطين. ومات سنة أربع وثمانين. (٦) هو أبو سعيد مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث السكونى. قال البخارى: له صحبة. وقال البنى: سكن مصر وكان فيمن شهد فتحها. وذكر ابن حجر له صحبة. مات فى زمن مروان بن الحكم. والسكونى، نسبة إلى سكون، بفتح السين وضم الكاف: بطن من كندة.

(٧) قال السمعاني: هو عريف السكاسك، بطن من الأزد. روى عن أبي الدرداء.

وذكر ابن حجر فى التهذيب نقلا عن الحاكم فى المدخل أن اسمه: البراء بن قيس. وقيل: إن البراء بن قيس كنيته أبو كيسة، بياء مثناة من تحتها وسين مهملة.

وزمِّل^(١) بن عمرو العُذْرِي^(٢)، وعبد الله بن مسعود، وقيل: ابن مسعدة الفزاري^(٣)، وأخوه عبد الرحمن، وشريك بن عبد الله الكِنَانِي^(٤)، وعبد الله بن عامر الهمداني^(٥). فأقبلوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ على ابن الزُّبَيْر. فكان النعمان يخلو به في الحِجْر كثيرًا، فقال له عبد الله بن عِصَاهُ يومًا: يا ابن الزُّبَيْر، إن هذا الأنصاري والله ما أمر بشيء إلا وقد أمرنا بمثله، إلا أنه قد أمر علينا، وإني لأدري والله ما بين المهاجرين والأنصار. فقال ابن الزُّبَيْر: ما لي ولك! إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة؟ قال: نعم، وما حرمة حمام مكة! يا غلام، اثنتي بقوسي وأسهمي. فأتاه بقوسه وأسهمه. فأخذ سهمًا فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد، ثم قال: يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر؟ قولي: نعم، والله لئن فعلت لأرميتك. يا حمامة، أتلعين يزيد بن معاوية وتُفَارِقِينَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وتُقيمِينَ في الحرم حتى يُسْتَحَلَّ بك؟ والله لئن فعلت لأرميتك. فقال ابن الزُّبَيْر: ويحك! أو يتكلم الطائر؟ قال: لا، ولكنك يا ابن الزُّبَيْر تتكلم، وأقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مُكْرَهًا، أو لتتعرفن راية الأشعريين في هذه البطحاء، ثم لا أعظم من حقها ما يُعْظَم. فقال ابن الزُّبَيْر:

(١) هو زمِّل، وقيل زميل، بن عمرو بن عَزْر العُذْرِي. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم. وشهد صفين مع معاوية، وكان أحد شهود التحكيم بها. واستعمله يزيد بن معاوية على خاتمه، وشهد بيعة مروان بالجابية. وقتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين.

(٢) ذكر ابن حجر في الإصابة أنه عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك. والذي ذكره ابن عبد البر: عبد الله بن مسعدة بن مسعود بن قيس. ونقل ابن حجر عن ابن حبان: عبد الله بن مسعدة بن مسعود. وكان عبد الله في سبي بني فزارة. فوهبه النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فاعتقه. وكان صغيراً فترى عندها. ثم كان عند علي، ثم كان بعد ذلك عند معاوية، وصار أشد الناس على علي. ثم كان على جند دمشق بعد الحرة، وبقي إلى خلافة مروان.

أَوْ تَسْتَحِلَّ الْحَرَمَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَحِلُّهُ مَنْ أَخَذَ فِيهِ . فَجَبَسَهُمْ شَهْرًا ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى
يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى شَيْءٍ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ^(١) فِي شَبْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بَطْنَهُ :

مَا زَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ^(٢) يَدْرُسُهَا

حَتَّى بَدَأَ إِلَى ^(٣) مِثْلِ الْخَزِّ فِي اللَّيْلِ

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شَيْبَرًا قَدْ شَبِعَتْ وَقَدْ

أَفْضَلْتَ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ

وَمَضَى ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ ، زَوْجَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا ، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ، مِنْ أَثَرَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ يَزِيدَ بِالْقِيَاءِ ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَتَهُ أَنْ
يُبَايِعَهُ . فَلَمَّا قَدِّمَتْ لَهُ عِشَاءَهُ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأُجْتِهَادَهُ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ،
وَقَالَتْ : مَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَكْثَرْتَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ
لَهَا : أَمَا رَأَيْتِ بَغْلَاتِ مُعَاوِيَةَ الَّتِي كَانَ يُحُجُّ عَلَيْهِنَّ الشُّهْبُ ؟ فَإِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ
مَا يَرِيدُ غَيْرَهُنَّ .

وَأَقَامَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَمَالَاهُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ ، فَدَخَلَ

(١) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّائِبُ بْنُ فَرُّوخِ الْمَكِّي . شَاعِرٌ هَجَاءٌ مِنْ أَنْصَارِ بَنِي أُمَيَّةَ .
أَكْثَرَ شِعْرَهُ فِي هَجَاءِ آلِ الزُّبَيْرِ ، غَيْرَ مُصْعَبٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ . (انظر نكت الهميان ، ومعجم
الشعراء للمرزباني) .

(٢) لَعَلَّهُ أَرَادَ الْإِشَارَةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَوَادَى » مَكَانٌ « بَدَالَى » . وَهِيَ رَوَايَةٌ أَكْثَرُ أَصُولِ الْأَغَانِي .

عليه عبد الله بن مطيع^(١)، وعبد الله بن حنظلة^(٢) وأهل المدينة، المسجد وأتوا المنبر واخلعوا يزيد. فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي: خلعت يزيد كما خلعت عماسي، ونزعها عن رأسه، وقال: إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير. وقال آخر: خلعت كما خلعت نعلي. وقال آخر: خلعت كما خلعت ثوبي. وقال آخر: خلعت كما خلعت خفي. حتى كثرت العائيم والنعال والخفاف، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك. وأمتنع منه عبد الله بن عمر، ومحمد بن علي بن أبي طالب. وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير، حتى أرادوا إكراهه على ذلك. فخرج إلى مكة. وكان هذا أول ما هاج الشر بينه وبين ابن الزبير.

وأجتمع أهل المدينة لإخراج بني أمية عنها، وأخذوا عليهم العهد ألا يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم، فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم. فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان: أنشدكم الله في دماءكم وطاعتكم، فإن الجنود تأتيكم وتطوكم، وأعذر لكم ألا تخرجوا أميركم، إنكم إن ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على إخراجي، وما أقول هذا إلا نظراً لكم،

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي، من رجال قريش جلدا وشجاعة. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وكان على قريش يوم الحرة، فلما انهزم أصحابه نوارى في المدينة. ثم سكن مكة. واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار ابن أبي عبيد منها. فعاد إلى مكة، فلم يزل بها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له، وأرسل رأسه إلى الشام مع رأس ابن الزبير وصفوان. (انظر الإضابة، وتهذيب التهذيب).

(٢) هو أبو عبد الرحمن - وقيل أبو بكر - عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري. وأبوه حنظلة المعروف بغسيل الملائكة. ولد عبد الله سنة أربع. وقتل يوم الحرة. وكان أمير الأنصار يومئذ، وذلك سنة ثلاث وستين. حكى ابن حجر أن من وفد إلى يزيد بن معاوية: عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له، فأعطاهم ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف. فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا: ما ورائك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم.

أريد به حقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا : لا نبداً إلا بك ، ثم
 أخرجهم بعدك . فأتى مروان بن الحكم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فقال :
 يا أبا عبد الرحمن ، إن هؤلاء القوم قد ركبونا كما ^(١) ترى ، فما ترى في ضم عيالنا ؟
 فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قَبَّحَ اللهُ
 هذا أمراً وهذا ديناً ! ثم أتى على بن الحسين عليهما السلام ، فسأله أن يضم أهله
 وثقله ، ^(٢) ففعل ، ووجههم وأمراته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ، ومعها أبناءه :
 عبد الله ، ومحمد . فعرض حريث رقاصة ، وهو مولى لبني بهز من سليم - كان
 بعض عمال المدينة قطع رجله ، فكان إذا مشى كأنه يرقص ، فسُمي رقاصة -
 لثقل مروان ، وفيهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضربته بعضاً
 فكادت تدق عنقه ، فولَّى . ومضوا إلى الطائف .

قلت : أم عاصم هذه ، أم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال : وأخرجوا بني أمية ، فمضوا إلى ذى خُشب ^(٣) ، وفيهم عثمان بن محمد بن
 أبي سفيان ، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان . وأتبعهم العبيد والصبيان والسفلة
 يرمونهم . وأقامت بنو أمية بذي خُشب عشرة أيام ، وسيروا حبيب بن كَرَّة إلى
 يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه : الغوث ! الغوث ! وبلغ أهل المدينة أنهم
 وجهوا رجلاً إلى يزيد . فخرج محمد بن عمرو بن حزم ، ورجل من بني سليم ، من بهز ،
 وحريث رقاصة ، وخمسون راكباً ، فأزعجوا بني أمية منها ؛ فنخس حريث بمروان
 فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخر عنها وزجرها وقال : أَعْلَى وأَسْلَمِي . فلما كانوا

(١) في بعض أصول الأغاني : « بما » .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

(٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

بالسويداء^(١) عَرَضَ لَهُم مَوْلَى لِمُرْوَانَ ، فَقَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! لَوْ نَزَلْتَ فَأَرْحَتَ وَتَعَدَّيْتَ ، فَالْغَدَاءَ حَاضِرٌ . فَقَالَ : لَا يَدْعُنِي رِقَاصَةٌ وَأَشْبَاهُهُ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَمَكِّنَ مِنْهُ فَتُقَطَعَ يَدُهُ . وَنَظَرَ مُرْوَانُ إِلَى مَا لَهُ بَذَى خُشْبٌ ، فَقَالَ : لَا مَالَ إِلَّا مَا أَحْرَزْتَهُ الْعِيَابُ . فَمَضَوْا فَزَلُّوا حَقِيلًا^(٢) ، أَوْ وَادَى الْقُرَى^(٣) . وَفِي ذَلِكَ مِنْ فَعَلِهِمْ يَقُولُ الْأَحْوَصُ :

لَا تَرْتَيْنَ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ ضُرًّا وَلَوْ أُلْقِيَ الْحَزْمَى فِي النَّارِ
الناخسين بِمُرْوَانَ بَذَى خُشْبٌ وَالْمُقَحَّمِينَ عَلَى عُثْمَانَ فِي الدَّارِ

فَدَخَلَ حَبِيبُ بْنُ كِرَّةَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَهُوَ وَاضِعَ رِجْلَهُ فِي طَسْتٍ لَوْجَعَ كَانَ يَجِدُهُ ، بِكِتَابِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : أَمَا كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ أَلْفَ رَجُلٍ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَثَلَاثَةَ آلَافٍ . قَالَ : أَفَعَجَزُوا أَنْ يُقَاتِلُوا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ؟ قَالَ : كَثَرَهُمُ النَّاسُ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ بِهِمْ طَاقَةٌ .

فَنَدَبَ النَّاسَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ صَخْرَ بْنَ أَبِي الْجَهْمِ . فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الْجَيْشُ . فَأَمَرَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الَّذِي يُدْعَى مُسْرِفًا . فَقَالَ لِيَزِيدَ : مَا كُنْتَ مُرْسِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ أَحَدًا إِلَّا قَصْرًا ، وَمَا صَاحِبُهُمْ غَيْرِي ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَايِ شَجَرَةٍ غَرَقْدَ تَصِيحٍ : عَلَى يَدَيِ مُسْلِمٍ . فَأَقْبَلْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَدْرَكَ تَارَكَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَتْلَةَ عُثْمَانَ . فَخَرَجَ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ مِنْ قِصَّةِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ عَلَى يَدِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ .

قُلْتُ : إِنَّ مُسْلِمًا أَتَى الْمَدِينَةَ فَقَاتَلَ أَهْلَهَا فَهَزَمَهُمْ وَدَخَلَهَا ، وَقَتَلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ، وَأَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ بَقِيَ ، أَنَّهُمْ خَوَّلُوا لِيَزِيدَ

(١) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . (عن ياقوت) .

(٢) حقيل : موضع .

(٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام ، كثير القرى . (عن ياقوت) .

ابن معاوية ، وكل من امتنع من أن يبايع كذلك ضرب عنقه . ثم توجه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير ، فمات في الطريق ، فقام بأمر الجيش الحصين بن نمير السكوني ^(١) . فتقدم بالجيش إلى مكة وحاصرها ورمى الكعبة ، شرفها الله ، بالمنجنيق والنار حتى تهدمت الكعبة . ولم يزل محاصراً مكة حتى وصل إليه نعي يزيد بن معاوية ، فرجع بالجيش إلى الشام ، وبايع ابن الزبير لنفسه بالخلافة .

شعر أبي قطفة
في حنينه إلى
المدينة

قال أبو الفرج : فقال أبو قطفة في ذلك :

بكي أحد لما تحمل أهله فكيف بذى وجد من القوم آف
من أجل أبي بكر جلت عن بلادها أمية والأيام ذات تصارف
وقال أيضاً :

بكي أحد لما تحمل أهله فسأل ^(٢) فدار للمال أمست تصدع
وبالشام إخواني وجل عشيرتي فقد جعلت نفسي إليهم تطلع
ولما طال مقامه بالشام ^(٣) قال :

ليت شعري وأين متى ليت أعلی العهد يلبن ^(٤) فبرام
أم كعهدي العتيق أم غيرته بعدى الحادثات والأيام
وبأهلي بدلت عكاً ونحماً وجدأما وأين متى جذام
وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام
كل قصر مُشيد ذى أواس ^(٥) يتغنى على ذراه الحمام

(١) هو الحصين بن نمير الكندي ، ثم السكوني الحمصي . ترجم له صاحب : تهذيب التهذيب .

(٢) سلع : موضع بقرب المدينة (عن ياقوت) .

(٣) كان ابن الزبير قد نفاه مع من نفي من بني أمية عن المدينة إلى الشام .

(٤) يلبن : جبل قرب المدينة . وبرام ، بفتح أوله وكسره : جبل في بلاد بني سليم عند الحرة من ناحية البقيع (عن ياقوت) .

(٥) الأواسي : جمع آس ، وهو الأصل . ويروى : « ذى أواس » بشين معجمة ، كأنه أراد أن هذه القصور موشية ، أى منقوشة .

قَرَّ مَنِي السَّلامِ إِنْ جِئْتَ قَوْمِي وَقَلِيلٌ لَّهُمْ لَدَيْ السَّلامِ
أَقْطَعَ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِزَفِيرٍ وَاكْتِثَابٍ فَمَا أَكَادُ أَنَامَ
نَحْوَ قَوْمِي إِذْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا الدَّاءُ رُوجَارَتْ عَنْ قَصْدِهَا الْأَحْلَامَ
خَشْيَةً أَنْ يُصِيبَهُمْ عَنَتُ الدَّهْرِ رُوحَرَبٌ يَشِيبُ مِنْهَا الْغُلَامَ
فَلَقَدْ حَانَ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الدَّهْرِ عَنَّا تَبَاعُدٌ وَأَنْصِرَامُ

قيل: إنَّ عبد الله بن الزبير لما بلغه شعرُ أبي قطيفة قال: حَنَّ والله أبو قطيفة،
وعليه السَّلامُ ورحمة الله، من أُنَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ آمَنَ فَلْيَرْجِعْ. فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ،
فَأُنْكَفَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا حَتَّى مَاتَ.

وَذُكِرَ أَنَّ أَمْرَأَةً مِنْ بَنِي زُهْرَةَ خَرَجَتْ فِي خِفٍّ، ^(١) فَرَأَاهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي
عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَأَعْجَبَتْهُ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَتَنَسَّبَتْ لَهُ. فَخَطَبَهَا إِلَى أَهْلِهَا،
فَزَوَّجُوهُ بِإِيَّاهَا بِكَرِّهِ مِنْهَا. فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَتْ مَخْرَجًا، فَسَمِعَتْ مَتَمَثِّلًا
يَقُولُ: وَالْأَيَّاتُ لِأَبِي قُطَيْفَةَ:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا جَبُوبُ الْمُصَلَّى أَمْ كَعْبُدِي ^(٢) الْقَرَائِنُ
وَهَلْ أَذُورُ حَوْلَ الْبَلَاطِ عَوَامِرُ مِنْ الْحَيِّ أَمْ هَلْ بِالْمَدِينَةِ سَاكِنُ
إِذَا بَرَقَتْ نَحْوَ الْحِجَازِ سَحَابَةٌ دَعَا الشُّوقَ مَنِي بَرْقِهَا الْمُتَيَامِنُ
فَلَمْ أَتَرُ كُنْهَ رَغْبَةٍ عَنْ ^(٣) بِلَادِهَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ صَبَابَةٌ كَأَنِّي أُسِيرُ فِي السَّلَاسِلِ رَاهِنُ
فَتَنَفَسَتْ بَيْنَ النِّسَاءِ فَوَقَعَتْ مَيِّتَةً.

قيل: إنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ مُحَمَّدَةُ بِنْتُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) يُقَالُ: خَرَجَ فُلَانٌ فِي خَفٍّ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَيْ فِي جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ. وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ
«فِي حَقِّ» تَحْرِيفٌ.

(٢) الْجَبُوبُ: الْحِجَابَةُ وَالْأَرْضُ الصَّلْبَةُ. وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ: «جَنُوبٌ». وَمَا أَثْبَتْنَا
عَنْ يَاقُوتَ.

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ: «وَمَا أَخْرَجْتَنَا رَغْبَةً عَنْ بِلَادِنَا».

شعره فى طلاق
امراته

وذكر أن أبا قطيفة طلق امرأته ، فقال :

فيا أسفاً لفُرقة أم عمرو ورَحلةِ أهلِها نحوَ العراقِ
فليس إلى زيارتها سبيلٌ ولا حتى القيامةِ من تلاقى
وعَلَّ اللهَ يَرْجِعها إلينا بموتٍ من حَليلٍ أو طلاقِ
فأَرْجِعَ شامتاً وتقرَّ عيني ويُجمَع شملُنا بعد افتراقِ

مقتل سعيد
ابن عثمان

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان استعمل سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان ، فلما عزله ، قدم المدينة بمال وسلاح وثلاثين عبداً من السُّعد^(١) ، فأمرهم أن يَبْنُوا له داراً . فبينما هو جالسٌ فيها ومعه ابنُ سِيحانَ ، وابنُ زَيْنَةَ ، وخالد ابن عُقبة ، وأبو قُطَيْفَة ، إذ تآمر العبيدُ بينهم فقتلوه . فقال أبو قُطَيْفَة يرثيه ، وقيل إنها لأخيه خالد بن عُقبة^(٢) :

يا عينُ جُودِي بدمعِ منك تَهْتاناً وأبكى سعيدَ بنَ عثمانَ بنَ عفَّانا
إنَّ ابنَ زَيْنَةَ لم تصدُقْ مودَّتَهُ وفرَّ عنه ابنُ أرْطاةَ بنِ سِيحانا

(١) السُّعد بالسَّين ، ويقال بالصاد : ناحية ، من قراها بخارى ، وسمرقند قصبتهما .
(عن ياقوت) ٢ .

(٢) هو أخو عثمان لأمه ، أمها أروى بنت عامر بن كريز . وكان عُقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد ، وخالداً ، وعماراً ، وأم كلثوم . كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه .

بعض أخبار معبد

هو معبد بن وهب. وقيل : ابن قطن. وقيل : ابن قطن، مولى العاص
ابن وابصة المخزومي : وقيل : بل مولى معاوية بن أبي سفيان .
كان أبوه أسود ، وكان هو خِلاسيًّا ^(١) مديد القامة أحول .

ذكر ابن خرداذبه أنه غنى أول أيام بني أمية ، وأدرك دولة بني العباس . نشأته ووفاته
وقد أصابه الفالج وأرتعش ، فكان إذا غنى يضحك منه ويهزأ به .

قال أبو الفرج : وابن خرداذبه قليل التحصيل لما يرويه ويضمّنه
كتبه . والصحيح أن معبدًا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده .
وقد قيل إنه كان أصابه الفالج ، وأرتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بني
العبّاس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبه ، ولا رواه هو عن أحد ، وإنما جاء
به مجازفة .

قال كردم بن معبد : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ
حين أُخرج نعشه إلى سلامة القسّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أضرب
الناسُ عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تندب ^(٢) أبي وتقول :

قد لعمري بت ليلى كأخى الداء الجميع
ونجى الهم منى بات أدنى من ضجيجي

(١) الخلاسي : الولد بين أبوين : أبيض وأسود .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « تبكى » .

كلما أبصرتُ رَبِّعًا خاليًا فاضتُ دموعي
قد خلا من سيّدٍ كما ن لنا غَيْرُ مُضِيع
لا تَلَمُّنا إن خَشَعنا أو هَمَمنا بِخُشُوع

قال كردم : وكان يزيدُ أمر أبي أن يُعلِّمها هذا الصوت ، فعلمها إياه فندبته

به يومئذ .

قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ وأخاه الغمرَ متجرّدين في قيصين ورداءين
يمشيان بين يدي سريره حتى أُخرج من دار الوليد ؛ لأنه تولّى إخراجَه من داره
إلى موضع قبره .

وكان معبدٌ أحسنَ الناسَ غناءً ، وأجودهم صنعةً ، وأحسنهم حلقًا . وهو خل
المغنيين ، وإمام أهل المدينة في الغناء .

منزلته في الغناء

قال معبدٌ : قدّمتُ مكةَ قليل لي : إن ابنَ صفوان قد سبقَ بين المغنيين
جائزةً . فأتيتُ بابَه وطلبتُ الدخول . فقال لي آذِنُه : قد تقدّم إلىَّ ألا آذنُ
لأحد عليه ولا أؤذنه به . قال : فقلت : دَعْنِي أَدُنْ من الباب فأُغنيَّ صوتًا .
فقال : أما هذا فنعم . فدنوتُ من الباب فغنيتُ صوتًا . فقالوا : معبد ! وفتحوا لي ،
فأخذتُ الجائزةَ يومئذ .

أخذه جائزة
لابن صفوان

وقال معبد : كنتُ غلامًا مملوكًا لآل قطنَ مولى بني مخزوم ، وكنتُ أتلقي
الغَمَّ بظَهَرِ الحَرَّةِ ، وكانوا تجارًا أعالج لهم التجارة في ذلك ، فأتى صخرةً مُلقاة
بالحرّة بالليل فاستند بها^(١) ، فأسمع وأنا نائم صوتًا يجري في مَسامعي . فأقومُ من النوم
فأحكيه . فهذا كان مبدأ غنائي .

مبدأ غنائه

(١) في بعض أصول الأغاني : «إليها» .

حديث رجوع
ابن سريج
والغريص عن
المدينة

وذَكَرَ ابنُ سُرَيْجٍ والغَرِيصُ قَدِمَا المَدِينَةَ يَتَعَرَّضَانِ لِمَعْرُوفٍ أَهْلُهَا وَيَزُورَانِ صَدِيقَهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ . فَلَمَّا شَارَفَاَهَا تَقَدَّمَا ثَقَلَهُمَا لِيَرْتَادَا مَنْزِلًا ، حَتَّى إِذَا كَانَا بِالْمَغْسِلَةِ ، وَهِيَ الْجَبَانَةُ عَلَى طَرَفِ المَدِينَةِ تُغْسَلُ فِيهَا الثِّيَابُ ، وَإِذَا هُمَا بِغَلَامٍ مُلْتَحِفٍ يَأْزَارُ وَطَرَفُهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَبِيَدِهِ حِبَالَةٌ يَتَصَيَّدُ بِهَا الطَّيْرَ وَهُوَ يَتَغَنَّى :

القَصْرُ فَالْتَّخَلُّ فَاَلْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ ^(١) مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ
وَإِذَا الْغَلَامُ مَعْبُدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيصُ مَعْبُدًا مَا لَا إِلَهَ بِهِ وَأُسْتَعَادَاهُ الصَّوْتِ ، فَأَعَادَهُ ، فَسَمِعَا شَيْئًا لَمْ يَسْمَعَا مِثْلَهُ قَطُّ . فَأَقْبَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَ كَالْيَوْمِ قَطُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَمَا رَأَيْكَ ؟ قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ : هَذَا غِنَاءُ غَلَامٍ يَتَصَيَّدُ الطَّيْرَ ، فَكَيْفَ بَمَنْ فِي الْجَوْبَةِ ! ^(٢) — يَعْنِي المَدِينَةَ — فَأَمَّا أَنَا فَخَسَّ كَلَّتَهُ وَالِدَتُهُ إِنْ لَمْ أَرْجِعْ . فَكَّرَا رَاجِعِينَ .

نادرة له في طريقه
إلى الحجاز

وَقَالَ مَعْبُدٌ : بَعَثَ إِلَى بَعْضِ أُمَرَاءِ الْحِجَازِ — وَقَدْ كَانَ جُمِعَ لَهُ الْحَرَمَانُ — أَنْ أَسْخَصَ إِلَى مَكَّةَ . فَشَخَصَتْ . قَالَ : فَتَقَدَّمْتُ غُلَامِي ، فَاشْتَدَّ عَلَى الْحَرِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْعَطَشُ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى خِيَاءٍ فِيهِ أَسْوَدُ ، وَإِذَا حِجَابُ ^(٣) مَاءٍ قَدْ بَرَّدَتْ ، فَلَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا هَذَا ، اسْقِنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَ : لَا . فَقُلْتُ : فَأَذِنْ لِي فِي الْكِنِّ سَاعَةً . قَالَ : لَا . فَانْتَحْتُ نَاقَتِي وَلَجَّاتُ إِلَى ظِلِّهَا فَاسْتَرْتُ بِهِ ، وَقُلْتُ : لَوْ أَحْدَثْتُ لِهَذَا الْأَمِيرِ شَيْئًا مِنَ الْغِنَاءِ أَقْدَمُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَلَعَلِّي أَيْضًا إِنْ حَرَّكَتُ لِسَانِي أَنْ يَبْلَّ حَلْقِي فَيُخَفِّفَ عَنِّي بَعْضُ مَا أَجْدُ مِنَ الْعَطَشِ . فَتَرَنْتُ بِصَوْتِي :

القَصْرُ فَالْتَّخَلُّ فَاَلْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ

(١) في بعض الأصول الأغاني : « النفس » .

(٢) يريد المدينة ، لأن الجوبة الموضع ينجاب في الحرة ، والمدينة بين حرتين تكتنفانها .

(٣) حباب : جمع حب ، بالضم ، وهي الحرة ، صغيرة كانت أم كبيرة .

فلما سمعه الأسودُ، ما شَعَرْتُ به إلا وقد احتَمَلَنِي فأَدْخَلَنِي خِباءَهُ، ثُمَّ قَالَ:
 بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! هَلْ لَكَ فِي سَوِيْقِ السَّلْتِ^(١) بِهَذَا الْمَاءِ الْبَارِدِ؟ قُلْتُ: قَدْ مَنَعَتَنِي
 أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ تُجْزِئُنِي. قَالَ: فَسَقَانِي حَتَّى رَوَيْتُ، وَجَاءَ
 الْغَلَامُ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلَى وَقْتِ الرَّوَّاحِ. فَلَمَّا أَرَدْتُ الرِّحْلَةَ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي!
 الْحَرُّ شَدِيدٌ، وَلَا آمَنَ عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي أَصَابَكَ، فَأَذَنْ لِي أَحْمِلْ مَعَكَ قُرْبَةً عَلَى
 عُنُقِي وَأَسْعَى بِهَا مَعَكَ، فَكَلِمًا عَطَشْتُ سَقَيْتُكَ صَحْنًا وَغَنَيْتَنِي صَوْتًا. قُلْتُ:
 ذَلِكَ لَكَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا فَارَقَنِي يَسْقِينِي وَأُغْنِيهِ حَتَّى بَلَغْتُ الْمَنْزِلَ.

هو وابن سريج
 في بطن مر

وَقِيلَ: كَانَ مَعْبَدٌ خَارِجًا إِلَى مَكَّةَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَسَمِعَ فِي طَرِيقِهِ غَنَاءً
 فِي بَطْنِ مَرٍّ^(٢)، فَقَصَّدَ الْمَوْضِعَ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَى حَرْفٍ بِرِكَّةٍ فَارِقٌ
 شَعْرَهُ، حَسَنُ الْوَجْهِ، عَلَيْهِ دُرَّاعَةٌ^(٣) قَدْ صَبَّغَهَا بَزْغَفَرَانٍ، وَإِذَا هُوَ يَتَغَنَّى:

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَا بَا وَدَعَا الْهَمَّ شَجْوَهُ فَأَجَابَا
 ذَاكَ مِنْ مَنَزَلٍ لَسَلَّمَى خَلَاءٍ لَا يَسِي مِنْ خَلَائِهِ جِلْبَابَا
 تُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعًا أَنْ يَرُدَّ رِبْعُ جَوَابَا
 فَاسْتَنَارَ الْمَنْسَى مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّبِ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا

فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ: أَنْتَ مَعْبَدٌ وَاللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَأَنْتَ ابْنُ سُرَيْجٍ؟
 قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُكَ مَا غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ.

وَذُكِرَ أَنَّ مَعْبَدًا كَانَ قَدْ عَلِمَ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الْحِجَازِ الْغَنَاءِ. تُدْعَى ظَبْيِيَّةَ،
 وَغَنَى بِتَخْرِيجِهَا. فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَخْرَجَهَا إِلَى الْبَصْرَةِ وَبَاعَهَا هُنَاكَ.
 فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ وَأَعْجَبَ بِهَا. وَذَهَبَتْ كُلُّ مَذْهَبٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ.

هو والجواري
 المغنيات في طريقه
 إلى الأهواز

(١) السلت: شعير لا قشر له، أجرد.
 (٢) بطن مر: من فواحي مكة. عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً.
 وقيل: أنه موضع على مرحلة من مكة، يقال له مر الظهران. (انظر معجم البلدان، والقاموس)
 (٣) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحَبَّتِه إياها وأسفه عليها لا يزالُ يسألُ عن أخبار مَعْبِدٍ وأين مُسْتَقَرُّه ، ويظُنُّه التعصُّبَ له والميلَ إليه والتقديمَ لغناؤه على سائر أغاني عصره ، إلى أن عُرف ذلك منه . وبلغ مَعْبِدًا خبرُهُ . فخرج من مكة حتى أتى البصرة . فلما وردها صادف الرجلَ وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز ، فلم يجد غيرَ سفينة الرجل ، وليس يعرف أحدهما صاحبه . فأمر الرجلُ الملاحَ أن يُجْلِسَه معه في مؤخر السفينة ، ففعل ، وانحدروا . فلما صاروا إلى فَمِ نَهر الأُبلة^(١) تغَدَّوا وشربوا ، وأمر جواريه فغَنَيْنَ ، ومَعْبِدٌ ساكت وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرَوْ وَخَفَانٌ غَلِيظَانِ وزِيٌّ جافٍ من زِيٍّ أهل الحجاز ، إلى أن غَنَّت إحدى الجوارى بصوت غِنائه وشعر النابغة ، وهو :

بانتْ سَعَادُ وأَمسى حبلُها أنصرما واحتلتِ الفَوْرَ والأجرعَ من إضامًا^(٢)
إِحدى بَلَى وما هَامَ الفؤادُ بها إلا السَفاهَ وإلا ذِكْرَةَ حُلُمًا^(٣)
فلم تُجِدْ ، فصاح بها مَعْبِدٌ : إِنَّ غِنَاءَكَ هذا ليس بِمُسْتَقِيمٍ . فقال له مولاه ، وقد غَضِبَ : وأنت ما يُدْرِيكَ الغناء ما هو ؟ ألا تُمَسِّك وتَلْزِمُ شَأْنَكَ ! فأمسك . ثم غَنَّتْ أصواتًا من غِناء غيره ، وهو ساكتٌ لا يتكلم . ثم غَنَّتْ بصوت من غِنائه وشعر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو :

يَابَنَةُ الْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَغَيْبُ مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يُنْيِبُ
ولقد لَامُوا قَلْتُ دَعَوْنِي إِنَّ مِنْ تَهْنُونَ عَنْهُ حَبِيبُ

(١) الأُبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخله إلى مدينة البصرة . ويقال فيها : الأُبلة ، بفتح الهمزة والباء .

(٢) الأجرع : جمع جرع ، وهو مفرد ، أو جمع جرعة ، وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . وإضم ، بكسر ففتح : واد بجبل تهامة ، أو هو الوادي الذي فيه المدينة .

(٣) بلى ، كفتى : اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة ، بالكسر والضم : نقيض النسيان .

إنما أبلى عظامي وجسمي حُبها والحبُّ شيءٌ عجيبٌ
أيها العائب عندي هواها أنت تقدي من أراك تعيب

فقال لها معبد : يا جارية ، قد أخللت بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فغضب
الرجل وقال : ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تكفُّ عن هذا الفضول ! فأمسك ،
وغنت الجوارى مَلِكِيَا ، حتى غنت إحداهن بصوت من غنائهن وشعر كثير ، وهو :

خليلى عوجاً ساعةً منكاً معي على الربع نقضى حاجةً ونودّع
ولا تعجلاني أن أُلِمَّ بدمنةٍ لعزةٍ لاحت لي ببیداءٍ بَلَقَعِ
وقولا لقلبٍ قد سلأ راجع الهوى وللعين أذرى من دموعك أودعى
ولا عيشَ إلا مثل عيشٍ مضى لنا مصيفاً أقمنا فيه من بعد مَرَبِعِ

فلم تصنع شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقومين على أداء صوت واحد !
فغضب الرجل ، وقال : ما أراك تدع الفضول بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأقسم بالله لئن
عاودت لا أخرجك من السفينة . فأمسك معبدٌ ، حتى إذا سكت الجوارى سكته ،
اندفع فغنى بالصوت الأول ، حتى إذا فرغ صاح الجوارى : أحسنت والله
يا رجل ! فأعده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يُغنى الثاني . فقُلن لسيدتهن :
هذا والله أحسنُ الناسُ غناءً ، فسَلِه أن يعيده علينا ولو مرةً واحدةً ، فإنه إن فات
لم نجد مثله أبداً . قال : قد سمعتنَّ سوءَ ردِّه عليكن وأنا خائفٌ مثله منه ، وقد
أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُداريه . ثم غنى الثالث ، فزَلزل عليهن الأرض .
فوثب الرجل فخرج إليه . وقال : يا سيدى ، أخطأنا عليك ولم نعرف قدرك . قال :
فهبَّ أنك لم تعرف قدرى ، قد كان ينبغي لك أن تثبَّت ولا تُسرِع إلى سوءِ
العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أخطأتُ ، وأنا أعتذر إليك . فلم يزل يرفقُ به
حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممن أخذت الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز .
فمن أين أخذه جواريك ؟ قال : أخذه من جارية كانت لي أبتاعها رجلٌ من

أهل البصرة من مكة، وكانت قد أخذت من أبي عبَّاد معبد، وعُني بتخريجها، وكانت تحلُّ منى محلَّ الروح من الجسد، ثم أستاثر الله بها، وبقي هؤلاء الجوارى وهنَّ من تعليمها. فأنا إلى الآن أتعصَّب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً، وأفضلُ صنعته على كل صنعة. فقال له معبد: وإنك لأنت هو! أفترعِ فني؟ قال: لا. فصكَّ معبد بيديه صلَّته، ثم قال: فأنا والله معبد، وإليك قدِّمتُ من الحجاز، ووافتتُ البصرةَ ساعةَ نزلت السفينة لأفصدك بالأهواز. والله لا قصَّرتُ في جواريك، ولأجعلنَّ لك كل واحدة منهن خلفاً من الماضية. فأكبَّ الرجلُ والجوارى على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون: كتممتنا نفسك طولَ هذا اليوم حتى حقرناك^(١) في الحاطبة وأسأنا عشرتك، وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن تلقاه. ثم غيَّر الرجلُ زيَّه وحالَه، وخلع عليه عدَّة خلع، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيَّاً وهدايا مثلها، وأنحدر معه إلى الأهواز. وأقام عنده حتى رضى حدق جواريه، وأنصرف إلى الحجاز.

وذُكر أنَّ الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجَّه إليه إلى المدينة، فأحضر. وبلغ الوليدَ قدمُوه، فأمر ببركة بين يديه فملئت بماء ورَّد قد خلط بمسك وزعفران، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة، ليس معهما ثالث. وجيء بمعبد. فرأى سترًا مرَّحى ومجلس رجل واحد، فقال له الحُجَّاب: يا معبد، سلِّم على أمير المؤمنين في هذا الموضع. فسلِّم، فردَّ عليه الوليد السلام من خلف السَّجَف^(٢). ثم قال له: حَيَّاك الله يا معبد، أتدرى لِمَ وجَّهْتُ إليك؟ قال: الله أعلم وأمير المؤمنين. قال: ذكركُ فأحببتُ أن أسمع منك. فقال له معبد: أغنى ما حضر أو ما يَقتَرحه أمير المؤمنين؟ قال غنى:

(١) في بعض أصول الأغاني: «جفوناك».

(٢) في بعض أصول الأغاني: «الستر».

هو في حضرة
الوليد بن يزيد

لَهْفَى عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا
 مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانُوا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ
 أَبْكَى فِرَاقَهُمْ عَيْنِي فَأَرْقَهَا إِنَّ النَّفْرَقَ لِلْأَحْبَابِ بَكَاءُ
 فَعَنَاهُ . فَمَا فَرَّغَ حَتَّى رَفَعَ الْجَوَارَى السَّجْفَ ، ثُمَّ خَرَجَ الْوَلِيدُ فَالْتَقَى نَفْسَهُ فِي
 الْبَرَكَةِ فَعَاصَ فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْجَوَارَى بَثْيَابٍ غَيْرِ الثِّيَابِ الْأُولَى .
 ثُمَّ شَرَبَ وَسَقَى مَعْبِداً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : غَنِّى يَا مَعْبِدُ :

يَا رُبُّعُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُتَبَيِّئًا قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِرًا وَمُسْلِمًا
 جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَّالَةً حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرَةٍ ^(١) مُتَبَسِّمًا
 لَوْ كُنْتَ تَدْرَى مَنْ دَعَاكَ أَجَبْتَهُ وَبَكَيْتَ مِنْ حُرْقٍ عَلَيْهِ إِذَا دَمًا
 قَالَ : فَعَنَاهُ . وَأَقْبَلَ الْجَوَارَى فَرَفَعْنَ السُّتْرَ ، وَخَرَجَ الْوَلِيدُ فَالْتَقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ
 فَعَاصَ فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَبَسَ ثِيَابًا غَيْرَ تِلْكَ . وَشَرَبَ وَسَقَى مَعْبِداً ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّى .
 قَالَ : بِمَاذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :

عَجِبْتَ لِمَا رَأَيْتُنِي أَنْدُبُ الرَّبْعَ الْمَحِيلَ ^(٢)
 وَاقِفًا فِي الدَّارِ أَبْكَى لَا أَرَى إِلَّا الطُّلُولَا
 كَيْفَ تَبْكِي لِلْأَنَاسِ لَا يَمْلُونُ الذَّمِيلَا ^(٣)
 كُلَّمَا قُلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا

قَالَ : فَلَمَّا غَنَاهُ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ . ثُمَّ شَرَبَ
 وَسَقَى مَعْبِداً . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْبِدُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِدَادَ حُظُوَّةً عِنْدَ

(١) الزهرة : البهجة والنضرة .

(٢) المحيل : الذى أنت عليه أحوال وغيرته .

(٣) الذميل : ضرب من سير الابل لين . وقال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزديد ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسم . وفي حديث قس : يسير ذميلاً . أى سيرا سريعاً لينا .

الملوك فليكنم أسرارهم . فقلت : ذلك مما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به . فقال : يا غلام ، أحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تحصل له في بلده ، وألفي دينار لنفقة طريقه . فحملت إليه كلُّها ، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة .

وفي رواية أخرى : إن البركة كانت مملوءة خمرًا ، وإن الوليد قذف نفسه فيها ونهل منها نَهْلَةً وخرج .

قلت : ووجدت في بعض التواريخ : أنه نهل منها حتى تبين نقصانها .

وقال معبد : أرسل إلى الوليد بن يزيد ، فأشخصت إليه . فبينما أنا يومًا في بعض حمامات الشام إذ دخل على رجل له هبة ومعه غلمان ، فاطلى ، واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أطلع على بعض ما عندي لأكونن بمزجر الكلب . فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني ، ثم ترنمت . فالتفت إلى وقال للغلمان : قدموا إلي جميع ما هاهنا . فصار جميع ما كان بين يديه عندي . ثم سألت أن أسير معه إلى منزله ، فلم يدع من البر والإكرام شيئًا إلا فعله ؛ ثم وضع النَبِيدَ ، فجعلت لا آتي بحسن إلا خرجت إلى أحسن منه ، وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى . فلما طال عليه أمرى قال : يا غلام ، شيخنا ، شيخنا . فأنتي بشيخ ، فلما رآه هَشَّ إليه . فأخذ الشيخُ العود ثم اندفع يغني :

سَلُورُ^(١) في القِدْرِ وَيَلِي عُلُوهُ^(٢) جاء القِطُّ أَكَلَهُ وَيَلِي عُلُوهُ

فجعل صاحبُ الدار يصفق ويضرب برجله طربًا وسُرورًا . ثم غناه :

(١) السَلُور : نوع من السمك يكون بنييل مصر ، طويل أملس ليس له فصوص .
وله رأس إلى الطول وفيه مستطيل كالخرطوم . (عن ابن البيطار) .

(٢) ظاهر أنه يريد « عليه » .

وتَضْرِبُنِي ^(١) حَبِيبَةُ الدَّرَاقِنِ ^(٢) وَتَحْسَبُنِي حَبِيبَةً لَا أَرَاهَا

قال : فكاد يخرج من جلده طَرَبًا . قال : فانسللتُ منهم وانصرفتُ ولم يُعَلِّمَ بي .
فأرأيتُ مثل ذلك اليوم قطُّ غِنَاءٍ أَضِيعَ وَلَا شَيْخًا أَجْهَلَ .

(١) في بعض أصول الأغاني : «ترميني» .

(٢) الدراقن ، كعلايط ، وقد تشدد الراء : المشمش . وذكر الزبيرى أن عرب الشام
يسمون الخوخ الدراقن ، وقال : ان تفسيره بالمشمش غير معروف .

اخبار عمر بن أبي ربيعة

واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن لؤي بن غالب . ويكنى عمر : أبا الخطاب . وكان أبوربيعة جدّه يُسمى ذا الرُّمحين ، سُمّي بذلك لطوله . كان يقال : كأنه يمشى على رُمحين ^(١) . وفيه يقول عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

أَلَا لَهِ قَوْمٌ ^(٢) وَ لَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ
هَشَامٌ وَأَبُو عَبِيدٍ مَنَافٍ مَدْرَهُ ^(٣) الْخَصْمِ
وَذُو الرُّمَحِينَ أَشْبَاكَ مِنْ الْقُوَّةِ ^(٤) وَالْحَزْمِ
فَهَذَا يَذُودَانِ وَذَا عَن ^(٥) كَتَبَ يَرْمِي
أَسُودٌ تَرَدَّهِ ^(٦) الْأَقْرَا نَ مَنَاعُونَ لِلْهَضْمِ

(١) وقال ابن منظور : سُمّي بذلك لأنه قاتل برمحين . وقيل : لطول رمحه . وقال ابن حبيب في المحبر عند ذكر من ولدت ربيعة بنت سعيد بن سهم : « وأبا ربيعة ، وهو ذو الرمحين ، قاتل يوم الفجار برمحين » .

(٢) في المحبر : « ألا لله ماذا » .

(٣) المدرة : المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٤) كذا أورد القالي البيت في النوادر (ص ٢٠٨) . وقال قبله : « ويقال : أشباك بفلان ،

كما يقال : حسبك بفلان » . ثم أنشد البيت . وروايته في المحبر :

وذو الرمحين أشبال من الأقوام ذو الحزم

ورويته في الأصل والأغاني :

وذو الرمحين أشبال على القوة والحزم

(٥) في بعض أصول الأغاني والمحبر : « من » .

(٦) ازدهاه : استخف به وتهان .

وهم يومَ عكاظٍ مَ نعوا النَّاسَ من الهَزَمِ
وهم من ولدوا أَشْبُوا بِسِرِّ الحَسَبِ ^(١) الضَّخَمِ
فإنَّ أَحْلَفَ وِيتِ الله لا أَحْلَفُ على إثمِ
لَمَّا من إخوةٍ بين قُصورِ الشَّامِ ^(٢) والرَّدَمِ
بأزكى من رِيط ة أو أوزن في ^(٣) الحِلْمِ

أبو عبد مناف : الفاكه بن المغيرة . ورِيطَة ، هي أم بني المغيرة ، وهي بنت
سُعيد ^(٤) بن سَهْم . ولدت من المغيرة : هِشامًا ، وهاشمًا ، وأبا ربيعة ، والفاكه .
وقد قيل : إنَّ هذه الأبيات ليست لأبن الزُّبَيْرِ ، فإنَّ أبا بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام بن المغيرة أمر من وَضَعها ، ونُسبت إلى ابن الزُّبَيْرِ .
وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بِحَيْرًا ^(٥) ، فسماه رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله . وكانت تلقبه قُرَيْشُ العَدْلِ ؛ لأنَّ قُرَيْشًا كانت تَكْسُو
الكعبة في الجاهلية سنَّةً ، ويكسوها عبدُ الله من ماله سنة . فأرادوا بذلك أنه
وحده عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك .

شئ عن عبد الله
ابن أبي ربيعة

(١) أنشد شمر بيت ذى الإصبع الحمداني ، ويكاد يكون هو لولا رويه :

وهم إن ولدوا أَشْبُوا بِسِرِّ الحَسَبِ المحض

وقال : وأشي : إذا جاء بولد مثل شبا الحديد ، وقال ابن الأعرابي : رجل مشب :
ولد الكرام .

(٢) رواية البيت في النوادر (١٩٦) والمحرر :

ما إن إخوة بين قصور الشام والردم

(٣) رواية البيت في الأمالي :

كأشمال بني ريط ة من عرب ولا عجم

(٤) كذا في نسب قريش للزبيرى : وفي الأصل : « سعد بن سهم » وفي الأغاني :

« سعيد بن سعد بن سهم » وكلاهما تحريف .

فقد ولد سهم بن عمرو بن هصيص : سعدا وسعيدا . ومن ولد سعيد رِيطَة ، أم بني المغيرة .
وفي نسل سهم سعيد آخر هو ابن لسعد ، ولكنه ليس أبا رِيطَة أم بني المغيرة . (انظر نسب قريش
ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨)

(٥) في الأصل : « بحيرا » بالميم ، تصحيف . (انظر تاج العروس : بحر) .

وقد قيل : إنَّ العِدْلَ : الوليدُ بن المغيرة .

وكان عبدُ الله بن أبي ربيعة تاجراً موسراً ، وكان متَّجِراً إلى اليمن . وكان من أكثرهم مالاً . وأمه أسماء بنت مُحَرَّمَة ^(١) ، وكانت عَطَّارَة يَأْتِيهَا الْعِطْرُ مِنَ الْيَمَنِ ، وكان تزوجها هشامُ بن المغيرة أيضاً ، فولدت له : أبا جَهْلَ ، والحارثَ ، أبنَى هشام . فهى أُمُهُما ، وأُم عبدِ الله ، وعيَّاش ، أبنَى أبي ربيعة .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً . فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حنين : هل لك في حبس بنى المغيرة تستعين بهم ؟ فقال : لا خير لى في الحبش ، إن جاعوا سرقوا ، وإن شبعوا زنوا ، وإن فيهم خلعتين حسنتين : إطعام الطعام ، والبأس يوم البأس .

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبي ربيعة على الجند ^(٢) ومخاليفها ^(٣) ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل مُعمر رضى الله عنه .

وقيل : إنَّ عثمان رضى الله عنه استعمله أيضاً عليها .

وأُم عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أُمُّ ولد ، يقال لها : سَدِيَّة من حَضْرَمَوْت .
وقيل : من حمير . ومن هناك أتاه الغَزَل . يقال : غَزَلَ يمان ، ودَلَّ حِجَازِي .
وقيل . أُمهُ أُم ولد سَوْدَاء ، يقال لها : فرشان ^(٤) .

وقد ردَّ أبو الفرج هذا القولَ وقال : إنها أُم أخى « عمر » الحارث ، الذى

(١) ويقال : مخربة ، أيضاً .

(٢) الجند : من ولايات اليمن الثلاث ، وهى : الجند ، وصنعاء ، وحضرموت .

(٣) المخاليف : الأطراف والنواحي ؛ الواحد مخلاف ، وهو عند اليمن كالرستاق .

(٤) فى أكثر نسخ الأغاني : « فرسان » . وفى سائرهما : « مرسان » . والذى وجدناه

فقلنا عن ياقوت : « وفرسان قبيلة من تغلب ، كانوا قديماً نصارى ، ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت . ويحملون التجارة إلى بلد الحبش » .

يقال له القُبَاع . وكان شريفاً كريماً ديناً ، وسيّداً من سادات قریش .
وكانت أمّه هذه نصرانية . وذُكر أنها ماتت نصرانية ، وكانت تُسر ذلك
منه ، فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
فسمع الحارثُ من النساء لفظاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرف أنها ماتت نصرانية ،
وأنه وجد الصليبُ في عنقها ، وكانت تكتُمه ذلك ، فخرج إلى الناس وقال :
انصرفوا رحمكم الله ، فإنّ لها أهلَ دين ، هم أولى منا ومنكم . فاستحسن ذلك منه ،
وعجّب الناسُ من فعله .

وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ يقال له : جُوَان ، وفيه يقول العَرَجِيّ :

ابنُه جَوَان

شَهِدِي جُوَانٌ عَلَى حُبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُوَانُ

فذكر أنّ جُوَان هذا جاء إلى العَرَجِيّ وقال : يا هذا ، مالى ولك تُشهرنى
في شعرك ، حتى أشهدتنى على صاحبك هذه ! متى كنتُ أشهد فى مثل هذا !
وكان أمراً صالحاً .

وذكر أنّ عمر بن أبي ربيعة وُلد فى الليلة التى قُتل فيها عمر بن الخطاب ،
فقال فى ذلك الحسن : أى حقّ رُفع ، وأى باطل وُضع !

مولده

قيل : بينا ابنُ عباس فى المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق ، وناسٌ من
الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة فى ثوبين مَصْبُوغين مُحَصَّرين ^(١) حتى
دخل وجلس ، فأقبل عليه ابنُ عباس فقال : أنشدنا . فأنشده :

قدمه على ابن
عباس المسجد

أَمِنْ آلٍ نُمُّ أَنْتَ غَادٍ مُبَكِّرُ غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَائِحَ قَهْجَرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الأزرق وقال : الله يا ابن عباس !

(١) المحصر من الثياب : التى فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة .

إنا نضرب إليك أ كبادَ المطى من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام ،
وتتناقل عنا ، ويأتيك مُتَرَفٌ من مُتَرَفَى قريش فيُنشدك :

رأت رجلاً أماً إذا الشمس عارضت فيخزى وأماً بالعشى فيخسرُ
فقال : ليس هكذا . قال : فكيف قال ؟ قال :

رأت رجلاً أماً إذا الشمس عارضت فيضحى وأماً بالعشى ^(١) فيخسرُ
فقال : ما أراك إلا قد حَفِظْتَ . قال : أجل ، وإن شئت أن أنشدك
القصيدة أنشدتك إياها . قال : فإني أشاء . فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها .
وفي رواية : أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى
أولها مقلوبةً ، وما سمعها قط إلا تلك المرة صَفْحاً ^(٢) . وهذا غاية الذكاء .
فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك ! قال : لكنى لم أر أذكى من أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وكان ابنُ عباس يقول : ما سمعتُ شيئاً قط إلا رويته ، وإني لأسمع صوتَ
النائحة فأسدُّ أذنى كراهية أن أحفظ ما تقول .

ولامه بعضهم في حفظه هذه القصيدة فقال : إنا نستجيدها . وكان بعد ذلك
كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المعيرى شيئاً بعدنا ؟

وفي رواية : ثم أقبل ابنُ عباس على ابن أبي ربيعة فقال : أنشدنا . فأنشد :

* تشطُّ غداً دارُ جيراننا *

ثم سكت . فقال ابنُ عباس :

* ولادَّارُ بعد غدٍ أبعدُ *

(١) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت ، أى قابلت . يريد : عارضته . ويخسر : يبرد .

(٢) صفحا ، أى مرورا .

فقال له عمر: كذلك قلتُ! — أصلحك الله — أسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي.

مكائنه في الشعر قيل: وكانت العرب تُقرّر لقرش بالتقدم^(١) في كل شيء عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تُقرّر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً، ولم تنازعها شيئاً.

وقال نصيب: عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحجال.

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة: ما يمنعك من مدحنا؟ قال: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء.

وقال ابن جريج: ما دخل على القوائق^(٢) في حجابهن^(٣) شيء أضرّ عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة.

وسمع الفرزدق شيئاً من نسب عمر بن أبي ربيعة، فقال: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته، وبكت الديار، ووقع هذا عليه.

وقال أبو المقوم الأنصاري: ما عصى الله بشيء كما عصى بشعر ابن أبي ربيعة.

وقال عمر بن أبي ربيعة: لقد كنتُ أعشق ولا أعشق، فاليوم صرتُ إلى مُدارة الحسان حتى المات. ولقد لقيتني فتاتان مرة، فقالت إحداهما: أدنُ مني يا ابن أبي ربيعة أسيراً إليك شيئاً. فدنوتُ منها، ودنتُ الأخرى فجعلت تعضني، فما شعرتُ بعضّة هذه من لذة سرار هذه.

من خلقه

(١) في الأصل: «في التقدم». وما أثبتنا من بعض أصول الأغاني.

(٢) القوائق: جمع عائق، وهي الشابة أول ماتدرك. وقيل: هي التي لم تبين من والديها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت.

(٣) في بعض أصول الأغاني: «حجابهن».

ويقال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قبيس^(١) ، وبنو أخيه معه وهم
مُحَرَّمون ، فقال بعضهم : خذ يدي ، فأخذ بيده فقال : ورب هذه الكعبة^(٢) ،
ما قلت لامرأة قط شيئاً لم تقه لي ، وما كشفت ثوباً عن حرام قط .
ولما مَرِضَ عمرُ مرضه الذي مات فيه جَزَعَ أخوه الحارثُ جزعاً شديداً ،
فقال له عمر : أَحْسَبُكَ إِنَّمَا تَجْزَعُ لِمَا تَظُنُّهُ بِي ! والله ما ركبْتُ فاحشةً قط . فقال :
ما كنتُ أَشْفِقُ عليك إلا من ذلك ، وقد سَلَّيتَ عني .
وذكر أن عمر بن أبي ربيعة عاش ثمانين سنة ، فتك منها أربعين سنة ،
ونسك أربعين .

وقيل : قدمت امرأة مكة وكانت من أجمل النساء ، فبينما عمر بن أبي ربيعة
يطوف إذ نظر إليها ف وقعت في قلبه ، فدنا منها فكلَّمها ، فلم تلتفت إليه . فلما كان
في الليلة الثانية جعل يطأها حتى أصابها . فقالت : إليك عني فإنك في حَرَمِ الله
وفي أيامِ عَظيمةِ الحرمة . فألحَّ عليها فكلَّمها حتى خافت أن يُشهرَّ بها . فلما كان
في الليلة الأخرى قالت لأخيها : أخرج معي يا أخي وأرني المناسك ، فإنني لستُ
أعرفها . فأقبلت وهو معها . فلما رآها عمر أراد أن يعرض لها ، فنظر إلى أخيها
معها فعدل عنها ، فتمثلت المرأة بقول النابغة :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَنَفِرِ^(٣) الْحَامِي
ولما حَدَّثَ النَّصُورُ بهذا الحديث قال : وددتُ أنه لم تَبَقْ فتاةٌ من قريش
إلا سمعت بهذا الحديث .

وذكر أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وهو في

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « البنية » . وهما بمعنى .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « المستأسد » .

المسجد الحرام، فقال له : متعنى الله بك ، إنَّ نفسي قد تاقَتْ إلى قول الشعر
ونازعتني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتسره عليَّ . قال :
أنشدني . فأنشده :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ مُبْكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَاحٍ فَهُجْرٌ
فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي ، فقل ما شئت . ومن هذه القصيدة :

أشارت بمذراها وقالت^(١) لتزبها أهذا المغيري الذي كان يذكرُ
فقالَتْ نَعَمْ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ سَرَى اللَّيْلُ يَطْوِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ
أَخَا سَقَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاهُ الْمُجَبَّرُ
وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُمْتَدِّ^(٢) الْحِدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالٍ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَهُمْ^(٣) آخِرَ اللَّيْلِ تَنْهَرُ

ويقال : إنه لما عَرَضَ يزيدُ بن معاوية جيشَ أهل الحرَّة ، مرَّ به رجلٌ من
أهل الشام معه ترسٌ خلقُ سَمَجٍّ ، فنظر إليه يزيدُ وَضَحِكَ ، وقال له : ويحك !
ترسُ عُمرَ بن أبي ربيعة كان أحسنَ من ترسك . يريد قوله من هذه القصيدة :

فَكَانَ يَحْيَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَأَعْبَانٍ وَمُعْصِرُ

وأنشد سعيد بن المسيَّب قول عُمر بن أبي ربيعة من هذه القصيدة :

وَوَالٍ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرَوْحَ رُعْيَانٍ وَنَوْمَ سُمَرِ

يزيد ورجل
من أهل الشام
معه ترس

لابن المسيب في
بيت له

(١) في بعض أصول الأغاني : « لأختها » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ملتف » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لشيء » .

فقال : ما له قاتله الله ! لقد صغّر ما عظم الله ، يقول الله عزّ وجلّ : (والقمرَ قدّرنَاهُ منازلَ حتى عادَ كالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) .

هو وفاطمة
الكندية

وقيل : حبّبت فاطمة بنت محمد بن الأشعث بن قيس الكندية ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ، وواعدها أن يلقاها مساء الغد ، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يرسل رسولاً يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها . قال بديح المغني : فلم أشعُر به إلا متلثماً ، فقال : يا بديح ، إيت بنت محمد ابن الأشعث فأخبرها أنّي قد جئت لموعدها . فأيت أن أذهب ، وقلت : مثلي لا يعين على مثل هذا . فعيب عني بغلته ثم جاءني ، فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدُها لي في رُقاق الحاج . فذهبت فنشدتها . فخرجت على بنت محمد بن الأشعث ، وقد فهمت الآية ، فأتت لموعده ذلك .

قال بديح : فلما رأيتهما مقبلةً عرفت أنه قد خدعني بنشدتي البغلة . فقلت له : يا عمر ، لقد صدّقت التي قالت لك :

فهذا سحرُك النسوا ن قد خبّرنتي خبرك

قد سخرت مني ^(١) وأنا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن ! وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبليّة .

وحدثها حديثي ، فما زال ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .

وقيل : إنها لما حبّبت راسلها ، فوعده أن تزوره . فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار .

وقيل : إنها لما جاءت إليه أرسلت بينه وبينها سترًا رقيقًا تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدثها حتى أستنشدته ، فأنشدها قصيدته التي منها :

تسُطُّ غداً دارُ جيراننا وللدارِ بعد غدٍ أبعدُ

(١) في بعض أصول الأغاني : « قد سحرنتي »

إِذَا سَلَكَتْ عَمْرُ ذِي^(١) كِنْدَةَ
 عِرَاقِيَّةً ، وَتِهَامِي الْهَوَى
 وَحَثَّ الْحُدَاةُ بِهَا عَيْرَهَا
 هَنَالِكَ إِمَّا يُعْزَى الْفُؤَادُ
 وَلَيْسَتْ تَرْوَعُ^(٢) إِذَا دَارُهَا
 وَجَرَّبَتْ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفُ
 فَلَمَّا دَنَوْنَا لِحَرْسِ النَّبَا
 بَعَثْنَا لَهَا بَاعِثًا نَاشِدًا
 أَتْنَا تَهَادَى عَلَى رِقْبَةٍ
 تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجَدًا بِنَا
 لِمَا شَقَانِي تَعَلَّقْتُكُمْ
 وَكَفَّتْ سَوَابِقُ مِنْ عَبْرَةٍ
 فَإِنْ التِّي شَيِّعَتْنَا الْغَدَاةُ
 مَعَ الصُّبْحِ^(٣) قَصْدُهَا^(٤) الْفَرْقَدُ
 يَغُورُ بِمَكَّةَ أَوْ^(٥) يُنْجِدُ
 سِرَاعًا إِذَا مَا وَنَتْ تُطْرَدُ
 وَإِمَّا عَلَى إِثْرِهِمْ^(٦) يَكْمَدُ
 نَأَتْ وَالْعِزَّاءُ إِذَا أَجْلَدُ
 تُمْ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَتَمَدُ
 ح وَالضُّوءُ ، وَالْحَى لَمْ^(٧) يَرْقُدُوا
 وَفِي الْحَى بُفْيَةٌ مِنْ يَنْشُدُ
 مِنْ الْخَوْفِ أَحْشَاوَهَا تُرْعَدُ
 وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ أَوْجَدُ
 وَقَدْ كَانَ لِي عَنْكُمْ مَقْعَدُ
 عَلَى الْخَدِّ يَجْرِي^(٨) بِهَا الْإِثْمِدُ
 مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقَصَّدُ

قال : فاستخفها الشعر ، فرفعت السَّجْفَ ، فرأى وجهاً حسناً في جسم نازل ،

(١) عمر ذى كندة : موضع بينه وبين مكة مسيرة يومين .

(٢) في الديوان : « مع الركب » . وفي بعض الأصول الأغاني : « مع الشمس » .

(٣) كذا في الأصل والكثرة من نسخ الأغاني . والفرقد : أحد نجمين لا يغربان ، قريبين من القطب . وفي سائر أصول الأغاني : « والفرقد » بقافين : وقرقد : بالكسر : جبل قرب مكة .

(٤) يشير إلى أن موطنها العراق وهو في تهامة ، لا حيلة له إلا أن يهبط ويصعد بين أغوارها ونجودها .

(٥) رواية بعض أصول الأغاني : « تعزى... تكد » .

(٦) في الكثرة من أصول الأغاني : « يبدع » .

(٧) رواية الديوان :

فلما دنونا لحرس النباح إذا الضوء والحي لم يرقدوا

(٨) في الديوان : « جال »

فَخطبها وأرسل إلى أمها خمسمائة دينار ، فأبت وحجبتها وقالت للرسول : تعود^(١) إلينا . فكان الفتاة نعمتها ذلك . فقالت لها أمها : قتلِكَ الِوَجْدُ به فتزوجيه ! قالت : لا والله ، لا يتحدثُ أهلُ العراق عني أني جئتُ ابنَ أبي ربيعة أخطبه ، ولكن إن أتاني العراق تزوجته .

وشبَّ أيضاً عمر بنُ أبي ربيعة بزَيْنَبَ بنتِ موسى ، أختِ قدامة بن موسى هو وزَيْنَب بنت موسى الجحى . فمما قال فيها :

تَصَابِي القلبُ وَاذْكُرَا	صِيَاهُ ولم يكن ظَهَرَا
لِزَيْنَبَ إِذْ تُجِدُّ لَنَا	صفاءً لم يكن كَدَرَا
أَلَيْسَتْ بِالسَّيِّ قَالَتْ	لملَاقٍ لها ظَهَرَا
أَشِيرِي بِالسَّلَامِ لَهُ	إِذَا مَا نَحُونَا ^(٢) نَظَرَا
وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ	لِزَيْنَبَ نَوَّلِي عُمرَا
فَهَزَّتْ عِطْفَهَا عَجَبًا	وَقَالَتْ مَنْ بَذَا أَمَرَا
أَهَذَا سَحَرَكِ النِّسَا	نَ قَدْ خَبَرْتَنِي الْخَبَرَا

ويُروى على غير هذا الروي ، هكذا :

لَقَدْ أَرَسْتُ جَارِيَتِي	وَقُلْتُ لَهَا خُذِي حَذْرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ	لِزَيْنَبَ : نَوَّلِي عُمرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا	وَقَالَتْ : مَنْ بَذَا أَمْرَكَ
أَهَذَا خَدَعُكَ ^(٣) النِّسَا	نَ قَدْ خَبَرْتَنِي خَبْرَكَ

وقال فيها من قصيدة :

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي وَالْمَا الْغَدَاةَ بِالْأُظْعَانِ

(١) في بعض أصول الأغاني : « لا تعود إلينا » .

(٢) الرواية في الأغاني : « إذا هو نحونا خطرا » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « سحرك » .

لا تَلُومَا في آل زَيْنَبِ إِنَّا
قَلْبَ رَهْنٍ بِآلِ زَيْنَبَ عَانِي
مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكَرُ الْمَوِ
قِفَ مِنْهَا بِالْخَيْفِ^(١) إِلَّا شَجَانِي
لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا
غَيْرَ مَا قَلْتُ مَا زَحًّا بِلِسَانِي
هِيَ أَصْلُ^(٢) الصَّفَاءِ وَالْوَدِّ مِنِّي
وَإِلَيْهَا الْهَوَى فَلَ تَعْذِلَانِي
حِينَ قَالَتْ لِتَرْبِهَا^(٣) وَلَا أُخْرَى
مِنْ قَطِينٍ^(٤) مُؤَلَّدٌ : حَدَّثَانِي
كَيْفَ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَى عُمرَ الْمُرُ
سِلَ سِرًّا فِي الْقَوْلِ أَنْ يَلْقَانِي
قَالَتَا : تَبْعْنِي^(٥) رَسُولًا إِلَيْهِ
وَنُمِيتُ الْحَدِيثَ بِالْكِتْمَانِ
إِنْ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهَا
كَالْمُعَمَّى عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
قِيلَ : وَكَانَ سَبَبُ ذِكْرِهِ لَهَا أَنَّ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ ذَكَرَهَا عِنْدَهُ فَأَطْرَاهَا ،
وَوَصَفَ مِنْ عَقْلِهَا وَأَدَبِهَا وَجَاهِلِهَا مَا شَغَلَ قَلْبَ عُمرَ وَأَمَالَهُ إِلَيْهَا . فَقَالَ فِيهَا الشَّعْرُ
وَنَسَبَ بِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ ، فَلَامَهُ فِيهِ وَقَالَ لَهُ : أَتَنْطِقُ الشَّعْرَ فِي ابْنَةِ
عَمِّي ؟ فَقَالَ عُمرُ :

لا تَلْمُنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي
إِنْ بِي دَاخِلًا مِنَ الْحُبِّ قَدْ أَبُ
لا تَلْمُنِي وَأَنْتَ زَيْنَبُهَا لِي
لَوْ بَعِيدِيكَ يَا عَتِيقُ نَظَرْنَا
أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
إِذْ بَدَأَ الْكَشْحَ وَالْوَشَاحَ مِنَ الدُّرِّ وَفَضْلُ فِيهِ مِنَ الْمَرْجَانِ
لِي عِظَامِي مَكْنُونُهُ وَبَرَانِي
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

إِنِّي الْيَوْمَ عَادَ لِي أَحْزَانِي
وَتَذَكَّرْتُ ظِلِيَّةَ أُمِّ رِثْمٍ
وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي
هَاجَ لِي الشَّوْقُ ذِكْرُهَا فَشَجَانِي

(١) الخيف : موضع بمكة . (٢) في بعض أصول الأغاني : « أهل » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لأختها » . (٤) القطين : الخدم والخدم .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « نبتني » .

وحكى قدامة بن موسى قال: خرجت بأختي زينب إلى الممرة ، فلما كانت بسرف^(١) لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم علي . فقلت له : إلى أين أراك متوجها يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فأردت الحديث معها . فقلت : هل علمت أنها أختي ؟ فقال : لا ، وثني عنان فرسه راجعا إلى مكة .

وقيل : أنشد ابن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ لَسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ لَزَيْنَبَ نَجْوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
أَقُولُ لِمَنْ يَبْغِي الشِّفَاءَ مَتَى تَجِيْ بَزَيْنَبَ تُدْرِكُ بَعْضُ^(٢) مَا أَنْتَ لَامِسُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَشْفِ مِنْ سَقَمِيْ بِهَا فَإِنَّ مِنْ طِبِّ الْأَطْبَاءِ آيِسُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا لَزَيْنَبَ حَتَّى يَعْלוَ الرَّأْسَ رَامِسُ
فَلَمَّا بَدَتْ قَرَاوُهُ وَتَكَشَّفَتْ دُجْنَتُهُ وَغَابَ مَنْ هُوَ حَارِسُ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَّنَا كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ^(٣) لَا يَسُ
نَجِيْنُ نَقْضِي^(٤) اللَّهُ فِي غَيْرِ مَا نُمِ وَإِنْ رَغِمَتْ لِلْكَاشِحِينَ الْمَعَاطِسُ

فقال ابن أبي عتيق : أمنا يسخر ابن أبي ربيعة ؟ فأنتي محرم بقي ! ثم أتى عمر ، فقال : يا عمر ، ألم تخبرني أنك ما أتيت حراماً قط ؟ فأخبرني عن قولك :

* كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ لَا يَسُ *

فما معناه ؟ قال : والله لأخبرنك ، خرجت أريد المسجد وخرجت زينب

(١) سرف : موضع على عشرة أميال من مكة قرب التميم .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « نفس » .

(٣) المطارف : جمع مطرف ، بالضم والكسر ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . وأصله الضم ، إذ المعنى من أطرف ، إذا جعل في طرفه العلمان ، ولكنهم استقلوا الضمة فكمروا . وفي بعض أصول الأغاني : « المورد » .

(٤) في الأصل : « فعين نقضي » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغاني .

تُرِيدُهُ ، فَاتَّعَدْنَا لِبَعْضِ الشَّعَابِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا الشَّعْبَ أَخَذْتُنَا السَّمَاءَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ
يُرَى بَثْيَابَهَا بَلَّكَ الْمَطَرُ ، فَيُقَالُ لَهَا : أَلَا اسْتَرْتِ بِسَقَائِفِ الْمَسْجِدِ أَنْ كُنْتَ فِيهِ ؟
فَأَمَرْتُ غُلَامَانِي فَسَتَرُونَا بِكِسَاءٍ خَزٍّ كَانَ عَلَيَّ ، فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ :
* كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ ^(١) الْمَطَارِفِ لَا يَسُ *

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا عَاهِرُ ، هَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى حَاضِنَةٍ .

وَقَالَ أَيْضًا فِي زَيْنَبَ :

يَهْدِي بِخَوْدِ مَلِيحَةٍ ^(٢) النَّظَرِ	يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتِمِّمٍ كَلَفِ
فَهِيَ كَمَثَلِ الْعُسْلُوجِ ^(٤) فِي الشَّجَرِ ^(٥)	تَمْشِي الْهُوَيْنَى إِذَا مَشَتْ ^(٣) فَضْلًا
حَتَّى رَأَيْتِ التَّنْقِصَانَ فِي بَصَرِي	مَا زَالَ طَرَفِي يَحَارُ إِذْ ^(٦) بَرَزْتُ
يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ	أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنِسْوَتَهَا
يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقَرِ	بِيضًا حَسَنًا خَرَانِدًا ^(٧) قُطْفًا
وَفُزْنٍ رَسَلًا ^(٨) بِالذَّلِّ وَالْخَفَرِ	قَدْ فُزْنٌ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ مَعًا
كَيْمَا يُشْرِفْنَهَا عَلَى الْبَشَرِ	يُنْصِتْنَ يَوْمًا لَهَا إِذَا نَطَقَتْ
لِنَفْسِدَانِ الطَّوْفِ فِي عُمَرِ	قَالَتْ لَتَرْبٍ لَهَا مُتَحَدِّثُهَا

(١) فِي بَعْضِ نَسَخِ الْأَغَانِي : « مِنْ أَثْوَابِ الْمَطَارِفِ » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مَرِيضَةٌ » .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي . وَالْفَضْلُ ، بِضَمِّتَيْنِ ، الَّتِي قَدْ تَفَضَّلَتْ فِي ثَوْبِهَا ، وَذَلِكَ إِذَا تَوَشَّحَتْ بِهِ فَخَالَفَتْ بَيْنَ أَطْرَافِهِ عَلَى عَاتِقِهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « قُطْفًا » . « وَالْقُطْفُ » : الْمَثْيُ الْبَطِيُّ ، فَعَلَهُ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَنَصْرٍ وَكَرَمٍ .

(٤) الْعُسْلُوجُ : الْفَصْنُ لِسَنَتِهِ ، وَقِيلَ : هُوَ كُلُّ قَضِيبٍ حَدِيثٍ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « مَلِيسَر » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الْأَغَانِي .

(٦) فِي الْدِيَوَانِ : « إِذْ نَظَرْتُ » .

(٧) قُطْفٌ ، بِضَمِّتَيْنِ : جَمْعُ قُطُوفٍ ، وَهِيَ الْبَطِيئَةُ السَّيْرُ .

(٨) الرِّسْلُ : بِالْكَسْرِ : اللَّيْنُ وَالتَّوَدُّدُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِالْفَتْحِ ، أَيُّ قُطِيعًا . وَهُوَ

بِالتَّحْرِيكِ ، وَسَكَنَ الشَّعْرُ .

قالت ^(١) تصدّئْ له لِيَعْرِفَنَا
قالت لها قد غمّزته فأبى
مَنْ يُسَقِّ بعد الكرى بريقتهما
وقال أيضاً فيها :

أيها الكاشحُ المَعِيرُ بالصَّرِّ
لا مُطاعُ في آل زينبَ فارجعُ
نَجْعَلُ الليلَ موعداً حين ^(٢) نَمسى
كيف صَبْرِي عن بعضِ نَفْسِي وهل يَص
ولقد أشهدُ المحدثَ عند الـ
في زَمَانٍ مِنَ المَعيشَةِ لَدُنِ
وقال أيضاً :

ألا يا بَكْرُ قد طرَقَا
بزِينب ^(٣) إنها هَمِّي
خَدَجَةٌ ^(٤) إذا أنصرفتُ
وساقاً يملأُ الخُلُخَا

(١) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « قومي » . (٢) اسبطرت : أسرعت .
(٣) رواية الديوان :

من يسق بعد المنام ريقتهما يسق بمسك وبارد خصر

والخصر : البارد

(٤) في الأصل : « ثم نَمسى » . وما أثبتنا من الديوان وبعض أصول الأغاني .

(٥) لعله يريد بالحدث ، حيث وقفا يتحدثان عند القصر . يذكر أحاديثهما ، فيها العفة وفيها البيان .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « لزِينب » .

(٧) الخدجلة : الممتلئة الذراعين .

إذا ما زينبٌ ذكرتُ سكبتُ الدمعَ مُتسقا
كأنَّ سحابةً تهَمِّي بماءٍ مُحمّلت غَدَقا

هو نِسوة تشوقن
إليه

وقيل. أجمع نِسوة فذكرنَ عمر بنَ أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه
وحديثه، فتشوقنَ إليه وتمنّينّه. فقالتُ سُكينة: أنا لَكُنَّ به. فبعثتُ إليه
رسولا أن يُوافي الصّورينَ^(١) ليلةً سمّتها. فوافاهنَّ على رواحله، فحدّثهنَّ حتى طلع
الفجر. وحان انصرافهنَّ، فقال لهنَّ: والله إنّي محتاجٌ إلى زيارةِ قَبرِ النبي صلى الله
عليه وسلم والصلاة في مسجده، ولكني لا أخطُ بزيارتكنَ غيرها، ثم انصرف
إلى مكة، فقال في ذلك:

ألمِمْ بزينبٍ إن الركبَ قد أفدَا^(٢)
قد حلفتُ ليلةَ الصّورينَ جاهدةً
لأختيها ولأخرى من^(٣) مناصفها
لو جُمعَ الناسُ ثم أختيرَ صفوهُم
قلَّ الثّواءُ لئن كانَ الرحيلُ غداً
وما على المرءِ إلا الحلفُ^(٤) مُجتهداً
لقد وجدتُ به فوقَ الذي وجداً
شخصاً من الناسِ لم أعدِلْ به أحداً

قيل: أنشد جبريرٌ قولَ عمر بنِ أبي ربيعة:

رأى جبريرٌ
شعره

سائلاً الرّبَّعَ بالبليّ^(٥) وقولاً
أينَ حَيٌّ حلوكَ إذ أنتَ تحفُو
قال: ساروا فأمعنوا واستقلوا
هَجَّتْ شوقاً إلى^(٦) الغداة طويلاً
فَ بهم أهلٌ أراكَ جَميلاً
وبرَغَمي لو أستطيع^(٧) سبيلاً

(١) الصوران: موضع بالمدينة بالبحر.

(٢) في بعض أصول الأغاني: «البين» مكان.. «الركب». وأند: عجل وأسرع.

(٣) في الديوان: «الصبر». (٤) المناصف: الخدم.

(٥) البلي: تل قصير أسفل حاذة، بينها وبين ذات عرق.

(٦) في الأصل: «إلى». وما أثبتنا من بعض أصول الأغاني. ورواية الديوان: «لنا».

(٧) في بعض أصول الأغاني: «لواستطعت».

سَمِّمُونَا وَمَا سَمِّمْنَا مَقَامَا وَأَحْبَبُوا دَمَائَنَا وَسُهُولَا
فَقَالَ جَرِيرٌ : هَذَا الَّذِي كُنَّا نَدُورُ عَلَيْهِ فَأَخْطَأْنَاهُ وَأَصَابَهُ الْقُرْشِيُّ .

وَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُمَرَ ^(١) بَنُ مُصْعَبٍ : سَمِعْتُ خَالِي يَقُولُ ، وَقَدْ أَتَشَدُّ رَأْيَ مُصْعَبٍ فِي شَعْرِهِ
قَوْلَ عُمَرَ : ^(٢)

يَا لَيْتَنِي قَدْ أَجَزْتُ الْحَبْلَ نَحْوَكُمْ
إِنَّ التَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكِ بِهَا
وَمَا مَلَأْتُ وَلَكِنْ زَادَ حُبُّكُمْ
وَلَا جَذَلْتُ بَشْيَءَ كَانَ بَعْدَكُمْ
أَذْرِي الدَّمُوعَ كَذِي سُقْمٍ يُخَامِرُهُ
كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجْدَى تَذَكُّرِكُمْ
قَالَ ^(٣) : فَقَالَ جَدُّكَ : إِنَّ لَشَعْرَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ مَوْعَاً مِنَ الْقَلْبِ ، وَمُخَالَطَةً
فِي النَّفْسِ ، لَيْسَا لِغَيْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ شَعْرُ يَسْحَرُ كَانَ شَعْرُهُ سِحْرًا .

وَقِيلَ : ذَكَرَ شَعْرُ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ وَشَعْرُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي
عَتِيقٍ فِي مَجْلَسِ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ : صَاحِبُنَا — يَعْنِي
الْحَارِثَ — أَشْعَرُهُمَا . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : بَعْضُ قَوْلِكَ يَا بَنَ أَخِي ! لِشَعْرِ عُمَرَ
نَوَاطَةٌ ^(٤) فِي الْقَلْبِ ، وَعُلُوقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ ، لَيْسَ ^(٥) لِشَعْرِ .
وَمَا عَصَى اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ بِشَعْرٍ أَكْثَرَ مِمَّا عَصَى بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ . فُخِذَ عَنِّي

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « عَمَّ مُصْعَبٌ » .

(٢) أَصْلُ الْخَبَرِ مُسْتَدًّا فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « الزَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي ظَمِيَاءُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتُ
عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ : سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ ، وَقَدْ أَتَشَدُّ رَأْيَ عُمَرَ » .

(٣) أَجَزْتُ : جَاوَزْتُ . وَالْحَبْلُ : مَوْضِعُ بَعْرِفَاتٍ . وَالْمَعْرُوفُ : مَوْضِعُ الْوُقُوفِ بِهَا . وَذُو
عَشْرِ : وَادٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ . (٤) السِّدْرُ : الْمُتَخَيَّرُ .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « قَالَتْ » عَلَى أَنَّ الْمَحْدَثَةَ ظَمِيَاءُ .

(٦) النَّوَاطَةُ : التَّعْلُوقُ .

(٧) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « لَيْسَتْ » .

ما أصف لك : أشعر قُرَيْش من دقّ معناه ، ولَطَفَ مَدْخَلَهُ ، وسَهَّلَ مَخْرَجَهُ ،
ومَنْ حَشَوهُ ، وتَعَطَّفت حواشيه ، وأنارتْ معانيه ، وأعرب عن حاجته . فقال
المفضل للحارث : أليس صاحبنا الذي يقول :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عند الجمارِ يؤودها ^(١) العَقْلُ
لو بُدِّلتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سَفَلًا وأصبح سَفَلُهَا يَعْلُو
فيكاد يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا فيردُّه الإقواء ^(٢) والمَحَلُ
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بَمَا ^(٣) ضَمِنْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لأهلها قَبْلُ

فقال له ابنُ أبي عَتَيْق : يا بن أخى ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ،
ولا تُشاهد الحافلَ بِمثل هذا . أمّا تَطْيِيرُ الحارثُ لها ^(٤) حين قلب رَبْعَهَا فجعل
أعاليه حجارةً من سَجِيل ! ابنُ أبي ربيعة كان أحسنَ صُحبة للرَّبع من صاحبك ،
وأَجملَ مُخاطبةً ، حيث يقول :

سائلاً الرَّبْعَ بِالْبَلَى وقولاً هِجَتَ شوقاً لى الغداة طويلاً

وذُكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجلُ خَجلاً مُذْعِناً .

قيل : وإنما لُقِّب الحارثُ ، أخو عمر بن أبي ربيعة ، بالقُبَاع ، لأنَّ عبد الله بن
الزُّبَيْر كان ولّاه البَصْرَةَ ، وكان رجلاً صالحاً ، فرأى مَكِيالاً لهم ، فقال : إنَّ مَكِيالكم
هذا لَقُبَاع . وهو الشيء الذى له قَعْر . فَلُقِّبَ بالقُبَاع .

تلقيب الحارث
بالقُبَاع

وذُكر أنَّ الحارثَ هذا نَهَى أخاه عُمَرَ عن قول الشعر ، فأبى أن يقبلَ
منه ، فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شيئاً . فأخذ المالَ وخرج إلى أخواله بلَحَج

عمر وقد نهاه
الحارث عن قول
الشعر

(١) يؤودها : يهبطها وينقلها . والعقل : الحبس .

(٢) الإقواء : خلو الديار من أهلها . والمحل : الجذب .

(٣) فى بعض أصول الأغاني والديوان : « احتملت » .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « عليها » .

وأبين، من اليمين، مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً، فقال :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن
وأحتل أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر أو حظ من (١) الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته من أن يُغرّد قمرى على فنن
إذا رأت غير ما ظنت بصاحبها وأيقنت أن لحجاً ليس من وطني
ما أنس لأنس يوم الخيف (٢) موقفاً وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين (٣) ذو سنن
تالله (٤) قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمين
إن كنت صادفت (٥) دنياً وظفرت (٦) بها فهل أخذت بقوت (٧) الحج من ثمن

قال : فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا شعر عمر !

وقد فتك وغدر !

وقيل : إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أي بيت
قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قول جميل :

يموت الهوى متى إذا مالقيتها ويخيا إذا فارقتها فيعود
وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة :

كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بُغية يبتغي ما ليس موجوداً

(١) أجياد : موضعان بمكة ، الكبير والصغير .

(٢) الخيف : موضع بني . والرواية في الديوان :

* بل ما نسيت بطن الخيف موقفاً *

وفي الأصل : « الحى » .

(٣) سنن : طرائق ؛ الواحدة : سنة .

(٤) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « بالله » .

(٥) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « حاولت » .

(٦) في الديوان : « نعمت » . وفي بعض أصول الأغاني : « رضيت » .

(٧) في الديوان : « بترك » .

الوليد بن يزيد
وأصحابه في أغزل
بيت

فقال الوليد : حَسْبُكَ وَاللَّهِ بِهَذَا !

وَذَكَرَ أَبُو الْحَارِثِ ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ :

هو وجميل وقد
تناشدا

شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ وَجَمِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعُذْرِيِّ ، وَقَدْ اجْتَمَعَا
بِالْأَبْطَحِ ، فَأَنشَدَ جَمِيلٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

لَقَدْ فَرَحَ الْوَأَشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُنْيَنَةً أَوْ أَيْدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأَقْسِمَ مَالِي عَنْ بُنْيَنَةٍ مِنْ مَهْلٍ

وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ سَمِعْتُمَا قَتِيلًا بَكِي مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
أَيَّتُ مَعَ الْهَلَاكِ (١) ضَيْفًا لِأَهْلِيهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ أُولُو فَضْلٍ
أَفِقْ أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ عَنِ الْجَهْلِ وَدَعْ عَنْكَ جُمْلًا لَا سَبِيلَ إِلَى جُمْلٍ
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَايِيهَا (٢) لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ لِعَمْرٍ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ
شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنشُدْنِيهِ . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدَّوْكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءً وَأَهْلُنَا قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسْأَلُنِي مَرْكَبَ الْبَقْلِ
فَقَالَتْ فَمَا شَتْنُ قُلْنِ لَهَا أَنْزَلِي فَلِلْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوٌّ مُقَامِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي
فَقَالَتْ وَأَرُخْتَ جَانِبَ السُّرِّ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَكُمْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

(١) الْهَلَاكِ : الصَّمَالِيكُ .

(٢) طَلَايِيهَا ، أَيُّ طَلَايِيهَا .

فلما اختصرنا^(١) دونهنَّ حديثنا وهنَّ طيباتٌ بحاجة ذى^(٢) الشَّكل
عرفنَّ الذى تهوى فقلنَّ انذنى لنا نطفُ ساعةٍ فى بردٍ ليلٍ وفى سهل
فقالت فلا تلبثن قُلن تحدثنى أتيناكِ وأنسبن أنسيابَ مهَا الرَّمْل
فقمُنَ وقد أفهمنَ ذا اللبِّ أمما أتين الذى يأتين ذلك من^(٣) أجل

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول مثلَ هذا سجيسَ الليالى^(٤) !
والله ما خاطب النساءَ أحدٌ مخاطبتك . وقام مُشمرّاً .

هو وابن أبي عتيق
فى شعر له

وقال ابنُ أبى عتيق لعمر ، وقد أنشده قوله :
بينما ينعتننى أبصرتنى دونَ قيدِ الليلِ^(٥) يعدو بى الأغرَّ
قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيممتها قد عرفناه وهل يخفى القمر
أنت لم تدسُب بها وإنما نسبتَ بنفسك ، وكان ينبغي أن تقول : قلت لها
فقلت لى ، فوضعتُ خدى فوطئت عليه .

من شعره

ومن شعر عمر السَّهْل قوله :
فلما تواقفنا وسلمتُ^(٦) أشرفتُ وجوهُ زهاها الحسنُ أن تتقنعا
تبألهن بالعرفان لما^(٧) عرفننى وقُلنَ أمرؤُ باغٍ أكل^(٨) وأوضعا
وقرَّب بن أسبابِ الهوى لمُتيمِّمٍ يقيس ذراعاً كَلما قسنَ إصبعا

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغاني : « اقتصرنا » . (٢) الشكل : دل المرأة .

(٣) فى بعض أصول الأغاني : « من ذاك » . والرواية فى الديوان :

* فعلن الذى يفعلن فى ذاك من أجل *

(٤) سجيس الليالى ، من كلمات التأييد . تقول : لا أفعله سجيس الليالى ، أى لا أفعله أبداً .

(٥) قيد الليل : قدره .

(٦) فى بعض نسخ الأغاني : « وسلمت أقبلت » . وفى بعض آخر : « وسلمت أشرفت » .

(٧) فى الديوان وبعض أصول الأغاني : « لما رأيته » .

(٨) أكل بعيره وأوضعه : أى أعياه وحمله على الإسراع .

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الخِشْفِ ^(١) عيناها وسُنَّتُه ^(٢) ونخوةُ السابق المختال إذ صَهَلَا

ومن حسن عزائه قوله :

أَلْحَقْ إِنْ دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدْتُ أَوْ أُنَبِّتَ حَبْلُ أَنْ قَلْبِكَ طَائِرُ
أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَفَارَقُوا أَلْ يَهْوَى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرَّجَالِ ^(٣) الْمَرَائِرُ
زَعِ ^(٤) النَّفْسَ وَأُسْتَبَقِ الْحَيَاءَ فَإِنَّمَا تُبَاعِدُ أَوْ تُدْنِي الرَّبَابَ الْمَقَادِرُ
أَمِتْ حُبَّهَا وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالِهَا وَعِشْرَتِهَا أَمْثَالَ ^(٥) مَنْ لَا تُعَاشِرُ
وَهَبْهَا كَشْيَءٌ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحِ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيْبَتِهِ الْمَقَابِرُ
فَكَالِنَّاسِ عُلِقْتَ الرَّبَابَ فَلَا تُكُنْ أَحَادِيثَ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ ^(٦) حَاضِرُ
وَمِنْ بَدِيعِ إِنْطَاقِهِ لِلْقَلْبِ قَوْلُهُ :

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فحِزْتُ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ
قال لي ودَّعْ سُلَيْمِي ودَّعْهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ لَا أَسْتَطِيعُ

وقال مُصْعَبُ الرُّبَيْرِي : أَجْمَعُ أَهْلُ بِلَادِنَا، مِمَّنْ لَهُ عِلْمٌ بِالشَّعْرِ، أَنَّ هَذِهِ الْأَيَّاتِ
أَغْزَلُ مَا سَمِعُوا ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

تَقُولُ غَدَاةَ التَّقِينَا الرَّبَابُ أَيَاذَا أَفَلَتْ أَفُولَ السَّمَاءِ

(١) الخشف : الظبي ، وقيل : هو أول مايولد . وقيل : أول مايولد الظبي فهو طلاء ، ثم خشف .
والرواية في الديوان وبعض أصول الأغاني : « الرِّيم » .

(٢) السنة : الصورة . والرواية في بعض أصول الأغاني : « ولفتته » .

(٣) المرائر : العزائم ، الواحدة : مريرة . واستمرت : قويت .

(٤) زع النفس : ازجرها وانهبها .

(٥) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « كثل » .

(٦) يقال : بدا ، إذا خرج إلى البهو . وحضر ، إذا نزل الحضر .

وَفَضَّتْ^(١) سَوَابِقَ مِنْ عَبْرَةٍ
 قَلْتُ لَهَا مَنْ يُطِيعُ فِي الصَّدِيدِ
 أَغْرَكَ أَتَى عَصِيْتُ الْمَلَا
 وَأَلَا أَرَى لَذَّةً فِي الْحَيَاةِ
 فَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ لِي عِنْدَكُمْ
 غَلِيَتِ الذِّى لَامَ فِي حُبِّكُمْ
 مُهُومَ الْحَيَاةِ وَأَسْقَامَهَا
 وَمِنْ عَفِيفٍ شَعْرُهُ قَوْلُهُ :

طَالَ لَيْلِي وَاعْتَادَنِي الْيَوْمَ سُقْمُ
 حُرَّةُ الْوَجْهِ وَالشَّمَائِلِ وَالْجَوْ
 وَحَدِيثُ بَمْنَلِهِ تُنْزَلُ الْعُضُ
 هَكَذَا وَصَفُ مَا بَدَأَ لِي مِنْهَا
 إِنَّ تَجُودِي أَوْ تَبَخْلِي فِيْحَمْدِ
 وَمِنْ بَدِيعِ شَعْرِهِ الَّذِي يُرْجَّحُ فِيهِ الشُّكُّ عَلَى الْيَقِينِ قَوْلُهُ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى
 وَلِي نَظَرْتُ لَوْلَا التَّحَرُّجُ^(١٠) عَارِمُ

(١) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « وكفت » . (٢) رواية الديوان : « ارفض » .
 (٣) السلاك ، بالكسر : جمع سلك ، بالكسر أيضاً . مقيس غير مسموع . كما تقول في
 الذئب : ذئاب .

(٤) في الديوان والكثرة من نسخ الأغاني : « يجتنبه »

(٥) في الديوان وبعض أصول الأغاني : « مكارمى » . (٦) في الأصل : « ولا أن » .

(٧) يريد بقرن : قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة .

قال أبو الفرج : وكثيراً ما يذكره في شعره .

(٨) جهيز : سريع .

(٩) العصم من الظباء : ما في ذراعيها بياض . (١٠) عارم : فيه شراسة وحدة .

فقلتُ أَشْمُسُ أمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ
بعيدةٌ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٍ
ومدَّ عليها السَّجْفَ يومَ لقيتها
فلم أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قد بدا لنا
إذا ما دعتُ أَتْرَابَهَا فَكَتَنَفْنَهَا
طَلَبْنِ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ
ومن بديع أعتذاره قوله :

عاود القلبَ بعضُ ما قد شَجَاه
يا لَقَوْمِي فكيف أَصْبِرُ عَمَّنْ
أَرْسَلْتُ إِذْ رَأَتْ بَعَادِي أَلَّا
دُونَ أَنْ يَسْمَعَ المَقَالَةَ مَنْ
لا تُطْعِ بِي فَدَتْكَ نَفْسِي عَدُوًّا
ما ضِرَارِي نَفْسِي بِهَجْرَةٍ مَنْ لِي
وَأَجْتَنَابِي بَيْتَ الحَبِيبِ وَمَا انْخَلَا
ومن شِعْرِهِ فِي صِدْقِ المودَّةِ قوله :

كلُّ وُضْلٍ أَمْسَى لَدَيْكَ لِأَتَى
كلُّ أَتَى وَإِنْ دَنْتُ لِرِوَصَالٍ
وقوله :

أَحِبُّ لِحُبِّكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ
صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا

(١) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق في غير قبح ، وهو ما يلمح .

(٢) المآكم : جمع مأكة ، وهى العجيزة . (٣) المحرش : المفرى .

(٤) نواه : داره .

وَأَبْذُلُ مَالِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأُعْتَبِ مَنْ جَاءَكُمْ عَاتِبًا
وَأَرْغَبُ فِي وَدٍّ مَنْ لَمْ أَكُنْ إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ مِنَ الْأَرْضِ وَأُعْزَلْتُ جَانِبًا
لَيَمَمْتُ طَيْبَهَا ^(١) إِنِّي أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبَا

ومن شعره ، الذي قدَّح فيه فأورى ، قوله :

طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَّانِي ^(٢) الطَّرَبُ وَأُعْزَانِي طُولُ هَمٍّ وَنَصَبُ
أَرْسَلْتُ أَسْمَاءَ فِي مَعْتَبَةٍ عَتَبَتْنَاهَا وَهِيَ أَخْلَى مَنْ عَتَبَ
أَنْ أَلِيَّ مِنْهَا رَسُولٌ ^(٣) مَوْهِنًا وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَانْقَلَبَ
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ يَفْتَحُ عَنْهُ إِذَا ضَرَبَ
قَالَ أَيْقَاطُ وَلَكِنْ حَاجَةٌ عَرَضَتْ تُكَلِّمُ مِنَّا فَاحْتَجَبَ
وَلَعَمْرَدًا رَدَّنِي فَاجْتَهَدْتُ بِيَمِينِ حَلْفَةٍ عِنْدَ الْغَضَبِ
شَهِدَ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا سَقْفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبِ
قُلْتُ حِلًّا فَاقْبَلِي مَعْذِرَتِي مَا كَذَا يَجْزِي مُحِبٍّ مِنْ أَحَبِّ
إِنْ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَى فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجِبَ

ذُكِرَ أَنَّ سَبَبَ قَوْلِهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ أَنَّهُ كَانَ يَهْوَى أُمْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أَسْمَاءُ ، هُوَ وَأَسْمَاءُ
وَكَانَ الرَّسُولُ يُخْتَلَفُ بَيْنَهُمَا زَمَانًا ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ وَعَدَتْهُ أَنْ تَزُورَهُ ،
فَتَأْتِيهِ لَذَلِكَ وَاتَّظَرَهَا ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ حَتَّى غَلَبَتْهُ عَلَيْهِ فَنَامَ . وَكَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةً

(١) طيبها : ناحيتها .

(٢) تعناني : أوقمني في العناء والمشقة . والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة الفرح أو

الحزن أو الهم .

(٣) موهنًا : نحوًا من نصف الليل .

تخدمه . فلم تلبث أن جاءت ومعها جارية لها . فوقفت مُعْنِجَةً وأمرت الجارية أن تضرب الباب ، فضربته فلم يستيقظ . فقالت : تَطْلَعِي فانظري ما الخبر ؟ فقالت : هو مُضْطَجِعٌ وإلى جنبه امرأة . لحفت ألا تزوره حوْلاً . وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جزلة^(١) من النساء ، فصَدَقَتْها عن قصته ، وحلفت لها إنه لم يكن عنده إلا جاريته ، فرضيت . وإياها عني مُعمر بقوله :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ^(٢) عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
تَغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْنَاهَا^(٣) بَرْقِي وَأَدَبِ

قال حماد الراوية : استنشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة ، فما استعاذني إلا قصيدة مُعمر بن أبي ربيعة :

* طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَّانِي الطَّرَبُ *

الوليد وحماد في
شعر عمر

فلما أنشدته قوله :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
إلى قوله :

إِنْ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَى فاقبلي ياهندُ قالت قد وجب

فقال لي الوليد : ويحك يا حماد ! أطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى . يعني أمراًته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان طلقها ليتزوج أختها ، ثم تَبَعَتْها نفسه .

(١) جزلة : عاقلة أصيلة الرأي .

(٢) طبة : حاذقة رفيقة .

(٣) تأناها ، أي تتأنها ، بمعنى تتمهل عليها .

ومن شعره في تسهيل الأمر قوله :

قالت على رقية يوماً لجارتها ما تأمرين فإن القلب قد ^(١) تبلا
وهل لي اليوم من أختٍ مواخيةٍ منكن أشكو إليها بعض ما فعلا
فراجعتها حصانٌ غيرٌ فاحشةٍ برجع قولٍ ولُبٍ لم يكن ^(٢) خطلا
لا تذكري حبه حتى أراجعه إني سأكفيه إن لم أمت بمجلا
فاقتني حياءك في سترٍ وفي كرمٍ فلست أول أنى علقت ^(٣) رجلا

وذكر أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال : إنها أبنه عمي . فقال : ذلك أشنع لأمرك ! فقال : إني خطبتها إلى عمي فأبى عليّ إلا بصدّاقٍ أربعائة دينار ، وأنا غير مطيق ذلك . وشكا إليه من حبّها وكلفه بها أمراً عظيماً ، وتحمل ^(٤) به على عمه . فصار معه إليه فكلمه . فقال : هو مُملق ، وليس عندي ما أصلح به أمره . فقال له عمر : وم الذي تريده منه ؟ فقال : أربعائة دينار . فقال له : هي عليّ ، فزوجه . ففعل ذلك .

وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيت شعرٍ إلا أعتق رقية . فأنصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه . فجعلت جارية له تُكلمه فلا يردّ عليها جواباً ، فقالت له : إن لك لأمرأ ، وأراك تريد أن تقول شعراً . فقال :

تقول وليدتي لما رأيته طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حيناً
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفيناً

(١) تبيل : أسقمه الهوى وغلبه الحب .

(٢) حصان : عفيفة . وخطلا : فاسداً مضطرباً .

(٣) اقتى حياءك : الزنيه .

(٤) تحمل به : استشفع به .

هو وجارية له
بعد ما أسن
وحلف لا يقول
شعراً

وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَرَاءَ إِذَا مَا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
 بِرَبِّكَ هَلْ رَأَيْتَ لَهَا رَسُولًا فَشَاقَكَ أُمُّ لَقَيْتَ لَهَا ^(١) خَدِينَا
 قُلْتُ شُكَا إِلَى أَخٍ مُحِبٍّ كَبَعْضَ زَمَانِنَا إِذْ تَعَلَّمِينَا
 وَقَصَّ عَلَى مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا لَقِينَا
 وَذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
 وَكَمْ مِنْ خَلَةٍ ^(٢) أَعْرَضَتْ عَنْهَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَكُنْتُ بِهَا ضَمِينَا
 أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا وَلَوْ جُنَّ الْفَوَادُ بِهَا جُنُونَا
 ثُمَّ دَعَا بِتِسْعَةٍ مِنْ رَقِيقِهِ فَأَعْتَقَهُمْ ، لِكُلِّ بَيْتٍ وَاحِدٍ .

هو وعروة
في ابنه محمد

وَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ كَانَ يُسَافِرُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَيُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ :
 وَأَيْنَ زَيْنُ الْمَوَاكِبِ ؟ يَعْنِي ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عُرْوَةَ ، وَكَانَ يُسَمَّى بِذَلِكَ لِحَالِهِ . فَقَالَ
 عُرْوَةُ : هُوَ أَمَامُكَ . فَرَكِضَ يَطْلُبُهُ . فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، أَوَلَسْنَا أَكْفَاءَ
 كِرَامًا لِمُحَادَثَتِكَ وَمُسَايَرَتِكَ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي ! وَلَكِنِّي مُعَرِّى بِهَذَا
 الْجَمَالِ [أَتَبْعُهُ] حَيْثُ كَانَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي أُمَرُؤٌ مُفْرَمٌ بِالْحُسْنِ أَتَبْعُهُ لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ
 ثُمَّ مَضَى حَتَّى لَحِقَهُ ، وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِ تَعْجَبًا مِنْهُ .

وقيل : رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت ، قد بهر الناسَ بِجَمَالِهِ
 وَتَمَامِهِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ . فَجَاءَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
 وَقَالَ لَهُ : يَا بِنَ أَخِي ، مَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُكَ مِنْذُ بُلَغْنِي قَوْلُكَ :

هو ومالك بن
أسماء في الحج

إِنِّي لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بُسْتَا نِ مِنَ الْوَرْدِ أَوْ مِنَ ^(٣) الْيَاسْمِينَا
 نَظْرَةً وَالتَّفْصَاتَةَ أَمْنَى أَنْ تَكُونِي حَلَّتْ فِيهَا يَلِينَا

(١) الخدين : الصديق الذي يكون معك في كل ظاهر وباطن . وفي الأصل : « قرينا » .

(٢) الخلعة : الخليلة . (٣) الياسمين ، جملة جمع « ياسم » وهو قول فيه .

ويُروى : « أترجى * أن تكوني حَلَّت » .

وذكر أنه حجَّ أبو الأسود الدَّيْلِي^(١) ومعه امرأته ، وكانت جميلةً . فبينما هي تطوفُ بالبيت ، إذ عَرَضَ لها عمرُ بن أبي ربيعة ، فأثت أبا الأسود فأخبرته . فأثاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ . فلما عادتُ إلى المسجد عاد فكلَّمها . فأخبرت أبا الأسود . فأثاه في المسجد ، وهو مع قوم جالسٌ ، فقال :

وَأَنى لَيْثِنِي عن الجَهْلِ والْخَناءِ وعن شَمِّ أَقْوامٍ خَلَّاتِ أَرْبعُ
حَياءٍ وإِسْلامٍ وَبُقياً^(٢) وَأَتى كَرِيمٌ ومثلى قد يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
فَشْتانَ ما بيني وبينكَ إِنِّى على كلِّ حالٍ أَسْتَقِيمُ وتَظَامُ
فقال له عمر : لستُ أعود يا عَمَّ لِكلامها بعد هذا اليوم . ثم عاودتُ ، فكلَّمها .
فأثت أبا الأسود فأخبرته . فجاء إليه فقال له :

أَنْتِ الْفَتى وابنُ الْفَتى وأخو الْفَتى وَسَيِّدنا لولا خَلَّاتِ أَرْبعُ
نُكُولٌ عن الْجَلِّ وقُرْبٍ من الْخَلْنا وَبُخْلٌ عن الْجَدوى وَأَنْكَ^(٣) تَبْعُ
ثم خرجتُ وخرج معها أبو الأسود مُشتملاً على سيف . فلما رآها عمرُ أَعْرَضَ
عنهما . فتمثَّل أبو الأسود :

تَعَدُّو الذَّنابُ على مَنْ لا كِلابَ له وتَتَقَّى صَوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الْحامِي
وقيل : قَدِمَ الْفَرزدُقُ المَدِينَةَ ، وبها رجلان ، يقال لأحدهما : صُرَيْمٌ ؛ والآخر :
ابنُ أَسْماءَ . وَصِفاهُ ، فَقَصَّدهما . وكان عندهما قِيانٌ . فسلمَ عليهما وقال : مَنْ أَتَمَّا ؟
فقال أحدهما : أنا فِرْعَوْنُ . وقال الآخر : أنا هَامانُ . فقال : أينَ منزلكما في النَّارِ

(١) الدَّيْلِي : نسبة إلى « دئل » بضم الدال وكسر الهمزة ، قبيلة من كنانة . وتقول في النسبة إليها أيضاً : دُول ، ودُول ، بالتسهيل ، ودَيْل . (انظر شرح القاموس) .

(٢) بَقِيَا ، أى شَفَقَة ورحمة .

(٣) تَبِع : يتبع النساء ويحذ في طلبهن .

هو وأبو الأسود
وقد عَرَضَ لامرأته
في الطواف

هو والفَرزدَق

حتى أَقْصِدَ كما؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر . فضحك ، ونزل فسلم عليهما
وسلما عليه ، وتعاشروا مدةً ، ثم سألها أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ،
ففعلا . وأجتعا فتحدّثا وتناشدا ، إلى أن أنشده قصيدته التي يقول فيها :

فلما أَلْتَقَيْنَا وَأَطْمَأْنَنْتُ بِنَا النُّوَى وَغُيِّبَ عَنَّا مِنْ تَخَافٍ وَنُشْفِقُ
حتى أُنْهَى إِلَى قَوْلِهِ :

فَقُمْنِ لَكِي يُخْلِمِينَا^(١) فَتَرْقَرْتُ مَدَامُ عَيْنِهَا وَظَلَّتْ تَدَفَّقُ
وَقَالَتْ أَمَا تَرْحَمْنِي لَا تَدَعْنِي لَدَى غَزَلِ جَمِّ الصَّبَابَةِ^(٢) يَحْرِقُ
فَقُلْنِ امْكُتِي عَنَّا فَلَسْتُ مُطَاعَةً وَخِلْكِ مِنَّا فَاعْلَمِي بِكَ أَرْفَقُ

فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب أغزلُ الناس ! لا يحسن والله الشعراء
أن يقولوا مثل هذا التشبيب ، ولا أن يرقوا مثل هذه الرقيقة ! ثم ودّعه
وأنصرف .

هو والحارث
ابن عبد الله

وذكر أنه حجَّ عبدُ الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ،
مع أبيه الحارث ، فأثنى عمر بن أبي ربيعة ، وقد أسنَّ وشاخ ، فسلم عليه وسأله ،
ثم قال له : أىَّ شيء أحدثت بعدى يا أبا الخطاب ؟ فأنشده :

تَقُولِينَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أُرْعَاكِ حِينَ أَغِيبُ
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطَتْ لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةٍ لَا يَسْتَنَكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاهَ أَمْرِيءٍ مِمَّنْ يُقَالُ لَبِيبُ
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكَ^(٣) أَوْ مَضَتْ لَهُ بَعِينَ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبُ
تَرْوِّحَ يَرْجُو أَنْ مُتَحَطَّ ذُنُوبُهُ فَأَبْ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا النَّسِكَ أَسْلَانِي وَلَكِنَّمَا الْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مِنِّي وَالْفُؤَادِ رَقِيبُ

(١) يخليننا : يجعلنا في خلوة منهن .

(٢) يحرق : يحرق . في الأصل : « أخرق » . (٣) أو مضت له : وسارقه النظر .

شعره في قينى
ابن هلال

ويقال : إنَّ عمر بن أبي ربيعة قَدِمَ الكوفةَ ، فنزل على عبد الله بن هلال ،
الذى كان يُقال له : صاحبُ إبليس ، وكانت له قَيْنَتَانِ حاذِقَتَانِ . فكانُ عمرُ
يأتيهما فيسمع منهما ، فقال في ذلك :

يَا أَهْلَ بَابِلَ مَا نَفِسْتُ^(١) عَلَيْكُمْ مِنْ عَيْشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ
مَاءُ الْفُرَاتِ وَطِيبَ لَيْلٍ بَارِدٍ وَغِنَاءَ مُحْسِنَتَيْنِ لِأَبْنِ هِلَالٍ

هو وبعض
الشعراء في وصف
برق

وقيل : إنَّ عمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد ، وأبا ربيعة المصْطَلِقِيَّ ، ورجلاً
من بني مخزوم ، خَرَجُوا يُشِيعُونَ بعضَ خلفاء بني أمية . فلما أنصرفوا نزلوا بِسَرِفَ ،
فلاح لهم بَرَق . فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهلُمُّوا نَصِفِ البرق . فقال
أبو ربيعة :

أَرِقْتُ لِبَرَقٍ آخَرَ اللَّيْلِ لَامِعٍ جَرَى مِنْ سَنَاءِ ذُو الرُّبَى^(٢) فَيَنَابِعُ
فقال الحارث :

أَرِقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّامِّ وَدُونَهُ مَهَامُهُ مَوْمَاتٍ وَأَرْضُ^(٣) بِلَاقِعُ
فقال المخزومي :

يُضِيءُ عِضَاهَ^(٤) الشَّوْكِ حَتَّى كَانَتْهُ مَصَابِيحُ أَوْ فَجَرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
فقال عمر :

أَيَا رَبِّ لَا آلُو الْمَوَدَّةَ جَاهِدًا لِأَسْمَاءَ فَأُصْنَعُ بِى الَّذِى أَنْتَ صَانِعُ
ثم قال : مالى وللبرق والشوك !

وقيل : لقي عمرُ بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البَكْرِيَّةَ ، وهى وليلى البكرية

(١) نفس عليه كذا : غبطه من أجله . (٢) ينابيع : موضع في بلاد هذيل .

(٣) المهامة : المفاوز البعيدة ، الواحدة : مهمه . والموماة : الواسعة من الفلوات . والبلاقع :

جمع بلقع ، وهى الأرض القفرة . (٤) العضاء : الشجر العظيم له شوك .

تَسِيرُ عَلَى بَعْلَةٍ لَهَا ، وَقَدْ كَانَ نَسَبُ بِهَا ، فَقَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، عَرَّجِي هَا هُنَا
أُصَمِّعُكَ بَعْضَ مَا قُلْتُهُ فَيْكِ . قَالَتْ : أَوْ قَدْ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَوَقَفْتُ ، وَقَالَتْ :
هَات . فَأَنشَدَهَا :

أَلَا يَا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ قَلْبِي نَوَالِكِ إِنْ بَخِلْتَ فَنَوَّلِينَا
وَقَدْ حَضَرَ الرَّحِيلُ وَحَانَ مِنَّا فِرَاقُكَ فَانْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا

فَقَالَتْ : أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَتَرْكِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ . ثُمَّ صَاحَتْ
بِبَعْلَتِهَا وَمَضَتْ .

وفيهما يقول :

إِنْ لَيْلَى وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَشِيئَةَ لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيئًا
هَاجِرُ بَيْتِهَا لَا نَفِيَّ عَنْهَا قَوْلَ ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ الْعِيُوبَا

وَذُكِرَ أَنَّهُ حَبِطَتْ أُمُّ مُحَمَّدَ بِنْتِ مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا قَضَتْ نُسْكَهَا
أَتَتْ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَيْبَعَةَ ، وَقَدْ أَخْفَتَ نَفْسَهَا فِي نِسْوَةٍ ، فَخَدَّهَا مَلِيًّا . ثُمَّ لَمَّا
أَنْصَرَفَتْ أَتَبَعَهَا رَسُولًا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهَا ، وَسَأَلَ عَنْهَا حَتَّى أَتْبَعَتْهَا ^(١) . فَعَادَتْ
إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَهَا بِمَعْرِفَتِهِ إِيَّاهَا . قَالَتْ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَنْ تُشَهِّرَنِي بِشَعْرِكَ ^(٢) !
وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ . فَقَبَّلَهَا وَأُبْتَنَعَ بِهَا حُلَلًا وَطِيًّا وَأَهْدَاهُ إِلَيْهَا . فَرَدَّتْهُ ..
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقْبَلِيهِ لِأَنْهَيْتَهُ ^(٣) فَيَكُونُ مُشْهُورًا . فَقَبَّلَتْهُ وَرَحَلَتْ ..
فَقَالَ فِيهَا :

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُجِيدُ ابْتِكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تَهَامَةِ الْأَوْطَارِ
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ سَلِيمًا صَحِيحًا فَقَوَادِي بِالْخَيْفِ أُمْسَى مُعَارَا

(١) أَتْبَعَتْهَا : تَحَقَّقَهَا وَعَرَفَهَا . (٢) أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَلَّا تُشَهِّرَنِي فِي شَعْرِكَ . وَهُوَ
مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَنْقَاسُ فِيهَا حَذْفُ « لَا » النَّافِيَةِ . (٣) لِأَنْهَيْتَهُ : أَيْ لِأَيِّحُنْهُ لِمَنْ شَاءَ نَهَبًا ..

لَيْتَ ذَا الدَّهْرَ كَانَ حَتَمًا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمِينَ حِجَّةً وَأَعْتَارًا
وَأُنْشِدُ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَ عُمَرَ هَذَا . قَالَ : اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ بَعَادِهِ مَنْ
أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ مَا سَأَلْتَهُ لَيْتَمَ لَكَ فِسْقُكَ .

وكان عمر يهوى حميدة جارية ابن تَفَاحَة ^(١) ، وفيها يقول :

حَمَلُ الْقَلْبِ مِنْ حُمَيْدَةٍ ثِقَلًا إِنَّ فِي ذَاكَ لِلنُّوَادِ لَشُعْلًا
إِنْ فَعَلْتُ الَّذِي سَأَلْتُ فَقُولِي حَمْدُ خَيْرًا وَأَتَّبِعِي الْقَوْلَ فِعْلًا
وَصَلِّبِي وَأَشْهَدِ اللَّهَ أَنِّي لَسْتُ أَصْنِي سِوَاكَ مَا عَشْتُ وَصَلَا

وفيها يقول :

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ عَنْ حُمَيْدَةٍ زَاجِرُ أَمْ أَنْتَ مُدَّكِرُ الْحَيَاءِ فَصَابِرُ
فَالْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي حُمَيْدَةٍ مُوجَع وَالذَّمُّ مُنْهَدِرُ وَعَظْمِي فَاتِرُ
حَتَّى بَدَأَ مِنْ حُمَيْدَةٍ خَلَّتْ بَيْنَ وَكَنتُ مِنَ الْفِرَاقِ أَحَادِرُ

هو وعراقية رآها
في الطواف

وحكى [على بن] طَرِيفُ الْأَسَدِيِّ قَالَ . سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :

بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ رَأَى أَمْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَعْجَبَهُ
جَمَالُهَا ، فَخَشِيَ مَعَهَا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَتَاهَا فَخَادَشَهَا وَنَاشَدَهَا وَأُنْشَدَتْهُ ،
وَوَخَّطَبَهَا فَقَالَتْ : إِنْ هَذَا لَا يَصْلُحُ هَاهُنَا ، وَلَكِنْ إِنْ جِئْتَنِي إِلَى بَلَدِي وَخَطَبْتَنِي
إِلَى أَهْلِي تَزَوَّجْتُكَ . فَلَمَّا ارْتَحَلُوا جَاءَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَقَالَ لَهُ : إِنْ لِي
حَاجَةٌ أُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَا هِيَ .
ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ فَركبَ نَجِيًّا لَهُ وَأَرْكَبَهُ نَجِيًّا ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَا يُصْلِحُهُ وَسَارَا ، لَا يَشْكُ
السَّهْمِيُّ فِي أَنَّهُ سَفَرُ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ . فَمَا زَالَ يَحُثُّ حَتَّى لَحِقَ بِالرُّقَّةِ ، ثُمَّ سَارَ
بَسِيرَهُمْ يُحَادِثُ الْمَرْأَةَ طُولَ طَرِيقِهِ ، وَيُسَايِرُهَا وَيَنْزِلُ عِنْدَهَا إِذَا نَزَلَتْ ، حَتَّى وَرَدَ

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « ابْنُ مَاجَةَ » .

العراق . فأقام أياماً ، ثم راسلها يَدْنَجِرْها وعدّها . فأعلمته أنها كانت متزوجة
أبنَ عَمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات ، فأوصى بهم وبماله إليها لم تتزوج ،
وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة ، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم
وأعتذرت . فردّ عليها المال ورحل إلى مكة . وقال في ذلك قصيدته التي أولها :

نام صَحْبِي ولم أُنَمْ مِنْ خِيَالٍ بِنَا أَلَمْ
طاف بالرَّكْبِ مَوْهِنًا بَيْنَ خَاخِ إِلَى (١) عَظُمِ
ثُمَّ نَبَّهْتُ صَاحِبًا طَيِّبَ الْخَلِيمِ (٢) وَالشِّمِ
أُزِيحِيًّا مُسَاعِدًا غَيْرَ نَكْسٍ (٣) وَلَا بَرَمِ
قُلْتُ يَا عَمْرُو شَفَّنِي لَاعِجُ الْحُبِّ وَالْأَلَمِ
إِتِ هِنْدًا قُلْتُ لَهَا لَيْلَةَ الْخَلِيفِ ذِي السَّلَمِ

وذكر عثمان بن إبراهيم الخطابي قال :

بينه وبين
الخطابي وصاحب
له وحديثه عن هند

أَتَيْتُ عُمرَ بنَ أَبِي رَبيعَةَ بعد أن نَسَكَ بِسَنِينَ ، وهو في مجلس قومه من
بنى نَحْرُومَ ، فانتظرتُ حتى تفرّق الناسُ ، ثم دنوتُ منه ، ومعى صاحبٌ لى ظريف ،
وكان قد قال لى : تعالَ حتى نَهَبِجَه على ذِكْرِ الْغَزَلِ ، فنظرَ هل بقى فى نفسه
منه شيء . فقال له صاحبه : يا أبا الخطّاب ، أكرّمك الله ؟ لقد أحسن العُدْرَى
وأجاد فيما قال . فنظرَ إليه عُمر ثم قال : وما الذى قال ؟ قال : حيث قال :

لَوْ جُدَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَرَّ يَهْوَى سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاه ! لقد أجاد وأحسن . فقلتُ : والله درُّ

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وعظم ، بضمّتين ، وبفتحتين أيضا : عرض من أعراض خيبر .
وفى بعض أصول الأغاني : « إضم » . وهو واد يجبل تهامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) النكس : الضعيف . والبرم : الذى لا خير عنده .

جُنَادَةُ الْعُدْرِيِّ ! فقال عمر : فحيث يقول ماذا ؟ ويحك ! قلت : حيث يقول :

سَرَرْتُ لَعَيْنِكَ سَلَمَى بَعْدَ مَفْغَاهَا فَبِتُّ مُسْتَنْهَجًا مِنْ بَعْدِ مَسْرَاهَا
وَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا مَنْ هَذَاكِ لَنَا إِنْ كُنْتَ تَمَثَّلُهَا وَكُنْتَ إِيَّاهَا
مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بِلَدِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
وَلَوْ تَمَوْتُ لَرَأَعْتَنِي وَقُلْتُ أَلَا يَا بُؤْسَ لِلْمَوْتِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك ، لقد أحسن وأجاد وما أساء ! ولقد هيجتما على ساكننا ، وذكرتما ما كان عني غائبًا ، ولأحدثكما حديثًا حلوًا :

بينما أنا منذ أعوام جالس إذ أتاني خالد الخُرَيْتُ فقال لي : يا أبا الخطاب ، مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يُرِدْنَ موضعَ كذا وكذا ، لم أر مثلهن في بدو ولا حصر ، فبين هُند بنت الحارث المُرِّيَّة ، فهل لك أن تأتيهن متكرراً تسمع من حديثهن وتستمتع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لي أن أخفي نفسي ؟ قال : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود ، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن . ففعلت ما قال وجلست على قعود ، ثم أتيتهن فسلمت عليهن ، ثم وقفت بقربهن . فسألنني أن أنشدهن وأحدثهن . فأنشدتهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم . فقلن لي : يا أعرابي ! ما أملحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا ! فإذا أمسيت أنصرفت في حفظ الله . قال : فَأَتَخْتُ بَعِيرِي وَتَحَدَّثْتُ مَعَهُنَّ . ثم إنهن تفاخرن وجعل بعضهن يقول لبعض : كأننا نعرف هذا الأعرابي ، ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عمر ! فذت هُند يدها فانترعت عمامتي فألقته عن رأسي ، ثم قالت : هيه يا عمر ! أتراك خدعتنا منذ اليوم ؟ بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد لتأتينا في أسوأ هيئة ، ونحن كما ترى . قال عمر : ثم أخذنا في الحديث ، فقالت هُند : ويحك يا عمر ! اسمع مني ، لو رأيته منذ أيام وأصبحت عند أهلي ، وأدخلت

رَأْسِي فِي جَبِي، فَنظَرْتُ إِلَى حَرِي إِذَا هُوَ مِلُّ الْكَفِّ وَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى فَنَادَيْتُ :
يَا عُمَرَاهُ ! يَا عُمَرَاهُ ! قَالَ عُمَرُ : فَصَحْتُ : يَا لَبَيْكَاهُ ! يَا لَبَيْكَاهُ ! ثَلَاثًا ، وَمَدَدْتُ
فِي الثَّالِثَةِ صَوْتِي . فَضَحَكْتُ . وَحَادِثُهُنَّ سَاعَةً ثُمَّ وَدَعْتُهُنَّ وَأَنْصَرَفْتُ ، فَذَاكَ قَوْلِي :

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ ^(١) وَالْمُتَرَبَّعَا يَبْطُنُ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ ^(٢) بَلَقْعَا
إِلَى السَّقْعِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَذَلَتْ مَعَالِيهِ وَبَنَلًا وَنَكْبَاءَ ^(٣) زَعَزَعَا
لَهْنِدٍ وَأُتْرَابٍ لَهْنِدٍ إِذَا الْهَوَى جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ كَمَا صَفَقَ ^(٤) السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
وَإِذْ لَا نَطِيعَ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ ^(٥) مَطْمَعَا
وَلَهُ فِيهَا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوْهَاهُ :

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخْبِرِ الدَّارَا أَقْوَتْ وَهَاجَتْ لَنَا بِالنَّعْفِ ^(٦) تَذَكَّرَا
وَقَدْ أَرَى مَرَّةً سِرْبًا بِهَا حَسَنًا مِثْلَ الْجَاذِرِ لَمْ يُمَسِّنْ أَبْكَارَا
فِيهِنَّ هِنْدٌ وَهِنْدٌ لَا شَبِيهَ لَهَا فَيَمِنْ أَقَامَ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْسَارَا
تَقُولُ لَيْتَ أَبَا الْخَطَّابِ وَاقَفْنَا كَيْ نَلْهُوَ الْيَوْمَ أَوْ نَلْشُدَّ أَشْعَارَا

(١) المترج : حيث ينزل القوم زمن الربيع . ورواية هذا الصدر في الديوان :

* أَمْ تَسْأَلُ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّعَا *

وكذا رواه الثعالبي في أماليه ثم قال : «وأمل علينا أبو عبد الله .» عرفت مصيف الحى والمتربعا :
وهو غاط ، لأن « عرفت مصيف الحى » أول قصيدة لجميل .

(٢) دوارس : غفت وامتحت آثارها . وبلقع : خالية . يوصف به الذكر والأنثى . فإذا كان
اسمًا قلت : بِلَقْعَةٍ مِلْسَاءَ .

(٣) المغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر .
والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . وهى تهلك المال وتحبس القطر .
وزعزع : شديدة .

(٤) صفق الشراب : مزجه . (٥) الكاشح : المضمير للعداوة .

(٦) أقوت : خلت . والنعف : ما انحدر من غلط الجبل وارتفع عن مجرى السيل . وظاهر أنه
يزيد موضعاً بعينه .

فلم يَرُعُونْ إِلَّا الْعِيسُ طَالَعَةً بِالْقَوْمِ يَحْمِلْنَ رُكْبَانًا^(١) وَأَكْوَارًا
لَمَّا وَقَفْنَا وَعَيْنُنَا رُكَّابُنَا بُدِّلْنَ بِالْعُرْفِ بَعْدَ الرَّجْعِ إِنْكَارًا
ومنها :

لَمَّا أَلَّتْ بِأَصْحَابِي وَقَدْ هَجَعُوا حَسِبْتُ وَسَطَ رِجَالِ الْقَوْمِ^(٢) عَطَّارًا
فَقُلْتُ مَنْ ذَا الْحَيِّ وَانْتَبَهْتُ لَهُ وَمَنْ مُحَدِّثُنَا هَذَا الَّذِي زَارَا
تَبَدَّلَ الرَّبْعُ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ غُفَرَ الطَّبَاءُ بِهِ يَمْشِينَ أَسْطَارًا

وقال فيها — قلتُ : وهو من ظريف الشعر — :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتُنَا مَا تَعَدُّ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا^(٣) تَجِدُ
وَأُسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ
وَلَقَدْ قَالَتْ لِحَارَاتِهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ^(٤) تَبْتَرِدُ
أَكْمَا يَنْعُقُنِي تُبْصِرْتَنِي عَمَزَكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ
فَتَضَاحَكُنْ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنُ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ
حَسَدًا حُمِلْنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وقال فيها :

يَا مَنْ لَقَلْبٍ دَنَفٍ مُغْرَمٍ هَامَ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلِمِ
هَامَ إِلَى رِثْمٍ هَضِيمٍ الْحَشَى عَذَبَ الثَّنَايَا طَيِّبِ الْمُبْسِمِ
لَمْ أُحْسَبِ الشَّمْسُ بَلِيلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمِ

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو رجل الناقة بأدواته .

(٢) العطار : بائع العطر .

(٣) مما تجد ، أى بما قد تولعت به من الحب الشديد .

(٤) تبترد : تغسل بالماء البارد .

قالت ألا إنك ذو مَلَّةٍ يَصْرُفُكَ الْأَدْنَى عَنْ الْأَقْدَمِ
 قلتُ لها بل أنتِ مُعْتَلَّةٌ في الوصل ياهندُ لكي تَصْرُمِ
 وذُكِرَ أن عمر بن أبي ربيعة كان جالساً بمنى في فناء مِضْرَبِهِ، وغِلْمَانُهُ
 حوله، إذ أقبلت امرأةٌ بَرَزَةٌ عليها أثر النِّعْمَةِ، فسَلَّمَتْ. فردَّ عليها عمرُ. فقالت:
 أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال: أنا هو، فما حاجتك؟ قالت: حيّاك الله وقرّبك!
 هل لك في مُحَادَثَةِ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَتَمِّهِمْ خَلْقًا، وَأَكْمَلِهِمْ أَدْبَارًا، وَأَشْرَفِهِمْ حَسَبًا؟
 قال: ما أَحَبُّ ذَلِكَ إِلَيَّ. قالت: على شَرَطٍ. قال: قُولِي. قالت: يُمكنني من
 عَيْنَيْكَ فَأَشُدُّهُمَا وَأَقْوِدُكَ، حتى إذا تَوَسَّطَ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُرِيدُهُ حَلَّتِ الشَّدَّةُ،
 ثُمَّ أَفْعَلُ بِكَ ذَلِكَ عِنْدَ إِخْرَاجِكَ حَتَّى أَتَهَيَّ بِكَ إِلَى مِضْرَبِكَ. فقال: شأنك.
 ففعلت ذلك. قال عمر: فلما انتهت إلى المِضْرَبِ الَّذِي أَرَادَتْ، كَشَفَتْ عَنْ
 وَجْهِهِ، فإذا أنا بامرأة على كرسى، لم أر مثلاً قطُّ جَمَالًا وَكَلَالًا. فسَلَّمَتْ وَجَلَسْتُ.
 فقالت: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر. قالت أنت الفاضح للحرائر؟
 قلت: وما ذاك؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! قالت: أَلَسْتَ الْقَائِلَ:

هو وفاطمة بنت
 عبد الله بن
 مروان

قالت وَعَيْشٍ أَخِي وَنِعْمَةُ وَالِدِي لَا نَبِيَّ إِلَّا الْحَيُّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
 فخرجتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينِهَا لَمْ (١) تَلْجُجْ
 فَتَنَاولْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ (٢) مُشْنَجٍ
 فَلَتَمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيفُ بِرَدِّ مَاءِ (٣) الْحَشْرِجِ
 ثُمَّ قَالَتْ: قُمْ فَأَخْرِجْ عَنِّي، وَقَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا. وَجَاءَتْ الْمَرْأَةُ فَشَدَّتْ
 عَيْنِي، ثُمَّ أَخْرَجَتْنِي حَتَّى أَتَهَيَّ بِى إِلَى مِضْرَبِي، وَتَرَكْتَنِي وَأَنْصَرَفَتْ. فَخَلَّتْ

(١) لم تلجج: أى لم تمنزها.

(٢) مشنج: منقبض.

(٣) النزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه. والحشرج: النقرة في الجبل

يجمع فيها الماء فيصفو.

عيني، وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله أعلم به، وبِت ليلى. فلما أصبحت إذا أنا بها. فقالت: هل لك في العود؟ قلت: شأنك. ففعلت بي مثل فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى الموضع. فلما دخلت إذا الفتاة على كرسي. فقالت: إليه يا فضاح الحرائر! قلت: ماذا؟ جعلني الله فداك أيضاً! قالت: بقولك: وناهدة الثدئين قلت لها أتكني على الرمل في ديمومة لم تمهد فقالت على أسم الله أمرك طاعة وإن كنت قد كلفت ما لم أعود فلما دنا الإصباح قالت فضحتني فقم غير مطرود وإن شئت فأزدد

ثم قالت: قم فأخرج عني. فخرجت. ثم رددت، فقالت: لولا وشك الرحيل، وخوف الفت، ومحبتى لمناجاتك والاستكثار من محادثتك لأقصيتك. هات الآن، كلمني وحدثني وأنشدني. فكلمت أدب الناس وأعلمهم بكل شيء. ثم نهضت. وأبطأت العجوز وخلا لي البيت، فأخذت أنظر، فإذا بتور^(١) فيه خلوق^(٢). فأدخلت يدي فيه، ثم خبأتها في ردي. وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تهودني، حتى إذا صرت إلى باب المضرب، أخرجت يدي فضربت بها على المضرب. ثم صرت إلى مضربي، فدعوت غلماني، فقلت: أيتكم يقيني على باب مضرب عليه خلوق كأنه أثر كف؟ فهو حر وله خمسمائة درهم؟ فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم. فنهضت معه، فإذا [أنا] بالكف طرية، وإذا بالمضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. فأخذت في أهبة الرحيل. فلما نفرت نفرت. فبصرت في طريقها بقباب ومضارب وهيئة جميلة، فقيل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة. فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه:

(١) التور: إناة صغير.

(٢) الخلوق: نوع من الطيب.

(٣) الردن: الكم.

قولى : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَ أَنْ^(١) تَصْحَبْنِي ، وَيحك ! وما شأنك ؟ وما الذى تريد !
 أنصرف ولا تَفْضَحْنِي وَتُشِيطَ^(٢) بَدَمَكَ . فصارَتْ إليه العجوزُ فَأَدَّتْ إليه
 ما قالت لها فاطمةُ . فقال : لستُ بِمُنْصَرَفٍ أَوْ تُوجِّهَ إلىَّ بِقَمِيصِها الذى يلى
 جِلْدَها . فأخبرتها . ففعلتُ ، ووجهتُ إليه بِقَمِيصٍ من ثيابها . فزاده ذلك شَغَفًا ،
 ولم يَزَلْ يَتَّبِعُهُم ولا يُخَالِطُهُم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دِمَشْقٍ أنصرف .
 وقال فى ذلك :

ضاق الغداةَ بِحَاجَتِي صَدْرِي وَيئسْتُ بعدَ تَقَارُبِ الأُمْرِ
 وذَكَرْتُ فَاطِمَةَ الَّتِي عُلِقَتْها عَرَضًا فَيَا لِحَوَاثِ الدَّهْرِ
 يقول فيها :

وَكأنَّها بعدَ ما رَقَدَتْ تَجْرِي عليه سُلَافَةٌ الخُمْرِ
 ومنها :

وَبِحَيْدِ آدَمَ شَادِنٍ خَرِقٍ يَرعى الرِّياضَ بَبْلَدَةٍ^(٣) قَمَرٍ
 لما رَأَيْتُ مَطِيَّهمُ^(٤) حَزَقًا خَفَقَ الفؤادُ وَكنتُ ذا صَبَرٍ
 وتبادرتُ عيناى بعدهمُ وَأَنهَلْ مَدَمْعُها على الصَّدْرِ
 ولقد عَصَيْتُ ذوى أَقاربها طُرًّا وأهلَ الوُدِّ والصَّهْرِ
 حتَّى لَقَد قالوا وما كَذَبُوا أَجْنِذْتُ أَمَّ بِكَ داخِلُ السَّحْرِ

وذكر أنه لما قدمتُ فاطمةُ بنتُ عبد الملك بن مروان مكةَ جعلَ عمرُ بن
 أبى ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها ، فَرَقًا من عبد الملك

(١) أى ، ألا تصحبني . (٢) أشاط دمه وبدمه : أهدره وعرض نفسه للقتل .

(٣) الأدمة فى الإنسان : السمرة . وفى الظباء : لون مشرب بياضا . والشادن : الظبي شب

وترعرع . والحرق : الخائف المتحير . (٤) حَزَقًا : جماعات .

ومن الحجاج ، لأنه كان كتب إليه يتوَعَّده إن ذكرها أو عرَّضَ باسمها . فلمَّا
قضت حجَّها وأزَّحمت أنشأ يقول :

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ
لَا أُطِيقَ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ فِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفَتْ عَيْنُهَا وَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانًا يُلْفَى ^(١) بَلْبُ أَصِيلِ
لَوْ خَلْتُ خَلَّتِي أَصَبْتُ نَوَالًا وَحَدِيثًا يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ
وَلَظَلَّ الْخُلُخَالُ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَثْنَاءِ حَيَّةٍ ^(٢) مَقْتُولِ
وَلَقَدْ قَالَتِ الْحَبِيبَةُ لَوْلَا كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْيِيلِ
وله في فاطمة هذه :

يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكْرُ وَحُمُولُ الْحَيِّ قَدْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِمَابِ لَهَا وَأَدِيرْتُ حَوْلَهَا الْحَجَرَ
سَلَكُوا شِعْبَ النَّقَابِ بِهَا زُمْرًا تَحْتَثُّهَا ^(٣) زُمَرُ
وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا وَمَعِيَ عَضْبٌ بِهِ ^(٤) أُثْرُ
وَأَخٌ لَمْ أَخْشَ نَبَوْتَهُ بَنَوَاجِي أَمْرَهُمْ ^(٥) خَيْرِ
فَإِذَا رِيْمٌ عَلَى فُرْشٍ فِي حِجَالِ الْخَزْ ^(٦) مُخْتَدِرِ
حَوَّلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ نَوْمٌ مِنْ طُولِ مَا سَهَرُوا
شَبَّهُ الْقَتْلَى وَمَا قُتِلُوا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا

(١) في بعض أصول الأغاني . « يلقى » .

(٢) أثناء الحية : مطاويها وتضاعيفها إذا تثنت .

(٣) النقاب : موضع من أعمال المدينة . وتحتثها : تستعجلها .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) خير : خير .

(٦) الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة تجمل بالستور .

فَدَعَتْ بِالْوَيْلِ ثُمَّ دَعَتْ حُرَّةً مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرِ
ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا وَيَمَحُ نَفْسِي قَدْ أَتَى عُمَرَ
مَا لَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
لِشِقَائِي كَانَ عُلُقْنَا وَلَحْنِي سَاقَهُ الْقَدَرُ
قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ وَلَمَنْ نَاوَاكُمُ الْحَجَرُ

وقيل : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف البيت إذ رأى عائشة بنت طلحة
ابن عبيد الله ، وكانت من أجل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت
لما رآها . ورأته وعلمت أنها وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت لها :
قولي له : أتق الله ولا تقل هجراً ، فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت . فقال
للجارية : أقرئها السلام وقولي لها : ابن عمك لا يقول إلا خيراً ، وقال فيها :

هو وعائشة بنت
طلحة في الطواف

لِعَائِشَةَ ابْنَةَ التَّمِيمِ عِنْدِي حَتَّى فِي الْقَلْبِ مَا يُرْعَى حِمَاها
يُذَكِّرُنِي ابْنَةَ التَّمِيمِ ظَنِي يَرُودُ بَرَوْضَةٍ سَهْلٍ رُبَاها
فَقُلْتُ لَهُ وَكَادَ يُرَاعُ قَلْبِي فَلَمْ أَرَ قَطُّ كَالْيَوْمِ أَشْتَبَاها
سِوَى خَمْسٍ بِسَاقِكَ مُسْتَبِينَ وَأَنَّ شَوَاكَ لَمْ يُشَبْهِ^(١) شَوَاها
وَأَنَّكَ عَاطِلٌ عَارٍ وَلَيْسَتْ بَعَارِيَّةٌ وَلَا عُطْلِي يَدَاها
وَأَنَّكَ غَيْرُ أَسْحَمَ وَهِيَ تُدْنِي عَلَى الْمَتْنِينَ أَسْحَمَ قَدْ^(٢) نَضَاها
وَلَوْ قَعَدْتُ وَلَمْ تَكْلَفْ بُوْدِي سِوَى مَا قَدْ كَلِفْتُ بِهِ كَفَاها
أَظَلُّ إِذَا أَكَلَّمَهَا كَأَنِّي أَكَلَّمُ حَيَّةً غَلَبَتْ رُقَاها
تَبَيَّتْ إِلَى بَعْدِ النَّوْمِ تَسْرِي وَقَدْ أَمْسَيْتُ لَا أَخْشَى سُرَاها

(١) الحمش : دقة الساقين . والشوى : الأطراف .

(٢) الأسحم : الأسود ، يريد الشعر . ونضاها ، أى كساها .

وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فبلغ ذلك فتیانَ تيم ، أبلغهم إياه فتى منهم وقال لهم : يا بني تيم ، هالله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظام وتغفلون ! فمشى ولد أبي بكر الصديق وولد طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم إلى عمر بن أبي ربيعة وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها في شعري أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنتى عن اسمها ، فى قصيدته التى أولها :

يا أمَّ طلحة إنَّ البين قد أفدا قلَّ التَّوَاهُ لئن كان الرَّحيلُ غداً^(١)

وقيل : لم يزل عمر يُشَبِّب بعائشة هذه أيامَ الحج ، ويَطُوف حولها ويتعرَّض لها ، وهى تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهى ترمى الجمارَ سافرةً ، فنظر إليها . فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كارهةً يا فاسق ! فقال :

إني وأول ما كلفتُ بذكرها عَجِبُ وهل فى الدهر من مُتَعَجِّبٍ
نعتَ النساءِ فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ شَبَّهاً لها أبداً ولا بمُقَرَّبٍ
فكُنْتُ حيناً ثم قُلْتُ توجَّهتُ للحجِّ موعداً لِقَاءَ^(٢) الأخشبِ
أقبلتُ أنظر ما زعمن وقُلْتُ لى والقلبُ بين مُصدِّقٍ ومُكذِّبٍ
فلقيتها تمشى تهادى موهناً ترعى الجمارَ عَشِيَّةً فى مَوْكَبٍ
غراءُ يمشى الناظرين بياضها حوراء فى غُلواءِ عَيْشٍ^(٣) مُعْجَبٍ
إنَّ التى من أرضها وسمائها جليتُ لحينك ليتها لم تُجَلَبِ

وقيل : إنَّه لَمِيعها بمكة وهى تسير على بغلة لها ، فقال لها : قنى حتى أسمعك ما قلتُ فيك . قالت : يا فاسق ! أو قد فعلت ؟ قال : نعم . فوقفت . فأنشدها :

(١) أفد : دنا وأسرع .

(٢) الأخشب : واحد الأخشيين ، وهما جبلان بمكة .

(٣) غلواء عيش : أنصره وأرغده .

يَا رَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لَكَ فِي أَنْ تُنْشِرِي مَيِّتًا لَا تُرْهِقِي ^(١) حَرْجًا
 قَالَتْ بِدَائِكَ مُتٌ أَوْ عِشٌّ تُعَالِجُهُ فَمَا نَرَى لَكَ فِيمَا عِنْدَنَا فَرْجًا
 قَدْ كُنْتَ حَمَلْتَنَا غِيظًا نُعَالِجُهُ فَإِنْ تُقَدِّدْنَا فَقَدْ عَنَيْتَنَا ^(٢) حِجْبًا
 حَتَّى لَوْ أَسْطِيعُ مِمَّا قَدْ فَعَلْتَ بِنَا أَكَلْتُ لِحْمَكَ مِنْ غِيظٍ وَمَا نَضِجَا
 فَقَالَتْ: لَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، هَذِهِ الْبَنِيَّةُ! مَا عَنَيْتَنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ. ثُمَّ قَالَتْ
 لِبَغْلَتِهَا: عَدَسُ! ^(٣) وَسَارَتْ.

ثم لم تزل عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرّض لها، حتى قضت
 حِجْبَهَا وانصرفت إلى المدينة. فقال في ذلك:

إِنَّ مِنْ تَهْوَى مَعَ الْفَجْرِ ظَعَنَ لِلْهَوَى وَالْقَلْبُ مِتْبَاعُ الْوَطَنِ
 بَانَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ كَلَمًا ذُكِرْتُ لِلْقَلْبِ عَاوِدَتُ الْحَزَنِ
 يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَأَتَمَّرَ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٍ
 نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً تَرَكْتُ قَلْبِي لَدَيْهَا مُرْتَمِنٍ
 لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتَهَا غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجَنِّ
 وَقَالَ فِيهَا:

مَنْ لِقَابٍ أَمْسَى حَزِينًا مُعَنًى مُسْتَكِينًا قَدْ شَفَّهَ مَا أَجَنَّا
 إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتِ ذَاكَ شَخْصًا نَازِحَ الدَّارِ بِالْمَدِينَةِ عَنَّا
 لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَا

وَذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ كَانَ يَهْوَى كَلْثَمَ بِنْتِ سَعْدِ الْخَزْزَمِيَّةِ،

هو وكلم
 المخزومية

(١) لا ترهق حرجاً، أى لا تحمليه حرجاً ولا تكلفيه أكثر مما هو به.

(٢) فإن تقدنا، أى فإن ترد القصاص منا على هذا الهجر، فقد عنيتنا وجشمتنا أَعْوَامًا طَوَالًا.

(٣) عدس: كلمة تزجر بها البغال.

فأرسل إليها رسولا. ^(١) فضربتها وحلقتها وأحلقتها ^(٢) ألا تُعاود. ثم أعادها ثانية. ففعلتُ بها مثل ذلك. فتَحَامَاهَا رُسُلُهُ. فَأُتِيَ أُمَةً سَوْدَاءَ لَطِيفَةً رَقِيقَةً، فَأَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا وَكَسَاهَا وَأَنَسَهَا وَعَرَفَهَا خَبْرَهُ، وَقَالَ لَهَا: إِنْ أَوْصَلْتُ لِي رُقْعَةً إِلَى كَلِّكُمْ فَقَرَأْتُهَا فَأَنْتِ حُرَّةٌ، وَلَكِ مَعِيشَتُكَ مَا بَقِيتُ. فَقَالَتْ: اكْتُبْ حَاجَتَكَ فِي آخِرِهَا. ففعل، وأخذتها ومَضَتْ بِهَا إِلَى بَابِ كَلِّكُمْ، فَاسْتَأْذَنْتْ. فَخَرَجَتْ إِلَيْهَا أُمَةٌ لَهَا، فَسَأَلَتْهَا عَنْ أَمْرِهَا فَقَالَتْ: مَكَاتِبَةٌ ^(٣) لِبَعْضِ أَهْلِ مَوَلَانَا، جِئْتُ أُسْتَعِينَهَا فِي مَكَاتِبَتِي. وَحَادِثُهَا وَنَاشِدُهَا حَتَّى مَلَأَتْ قَلْبَهَا. فَدَخَلْتُ إِلَى كَلِّكُمْ وَقَالَتْ: بِالْبَابِ مَكَاتِبَةٌ لَمْ أَرِ قَطُّ أَجْمَلَ مِنْهَا وَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَدَبَ. فَقَالَتْ: نَأْذَنِي لَهَا. فَدَخَلْتُ، فَقَالَتْ: مَنْ كَاتِبُكَ؟ قَالَتْ: عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْفَاسِقُ! فَاقْرَأْنِي مَكَاتِبَتِي. فَحَدَّثَتْ يَدَهَا لِتَأْخُذَهَا. فَقَالَتْ: لِي عَلَيْكَ عَهْدُ [اللَّهِ] أَنْ تَقْرَأَهَا، فَإِنْ كَانَ مِنْكَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أُحِبُّهُ، وَإِلَّا لَمْ يَلْحَقْنِي مِنْكَ مَكْرُوهٌ. فَقَالَتْ: هَاتِي، وَفَطِنْتُ. فَأَعْطَتْهَا الْكِتَابَ، وَإِذَا أَوَّلُهُ:

مِنْ عَاشِقٍ صَبَّ يَسِرُّ الْهَوَى	قَدْ شَفَّهَ الْوَجْدُ إِلَى كَلِّكُمْ
رَأَيْتُكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الْهَوَى	إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ وَلَمْ أَعْلَمْ
قَتَلْتُنَا يَا حَبْدًا أَنْتُمْ	فِي غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا مَأْثَمٍ
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ	مُبَيِّنًا فِي آيَةِ الْحُكْمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا	وَلَمْ يُقْدِهَا نَفْسَهُ يَظْلَمُ
وَأَنْتِ تَأْرِي فِتْلًا فِي دَمِي	ثُمَّ أَجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا	وَأَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَاحْكُمِي
وَجَالِسِيَنِي مَجْلَسًا وَاحِدًا	مِنْ غَيْرِ مَا عَارٍ وَلَا مَحْرَمٍ

(١) الرسول: يجوز استعماله للمذكر والمؤنث، والمثنى والجمع. (٢) حلقتها. أى أوجعت حلقة لها.

(٣) مكاتبة، أى قد كاتبها سيدها على مال تؤديه إليه منجماً، فإذا أدته صارت حرة.

وخبّرني ما الذى عندكم بالله فى قتل امرئ مسلم
قال : فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداع مَلِيقٌ ، وليس لما شكاه أصل .
قالت : يا مولاتى ، ما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى
ظفر ببعيته ، فقولى له : إذا كان المساء فليجلس فى موضع كذا وكذا حتى يأتى
رسولى . فأنصرفت الجارية فأخبرته . فتأهب لها . فلما جاءها وجدها قد تهيأت
أجل هَيْئته ، وزينت نفسها ومجلسها ، وجلست له من وراء ستر . فسلم وجلس .
وتركته حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرنى عنك يا فاسق ! أنت القائل :

هلا رعويت ^(١) فترحى صبا	صدّيان لم تدعى له قلبا
جسيم الزيارة فى مودتكم	وأراد ألا ترهق ذنبا
ورجا مصلحة فكان ^(٢) لكم	سلما وكنتم ترينه حربا
يا أيها المعطى مودته	من لا يزال مساميا ^(٣) خطبا
لا تجعلن أحدا عليك إذا	أحبته وهويته ربّا
وصل الحبيب إذا شغفت به	واطو الزيارة دونه غبا
فلذاك أحسن من مواظبة	ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يملك ثم تدعو باسمه	فيقول : هاه وطالما ^(٤) كلبى

فقال لها : جعلتُ فداك ! إن القلب إذا هوى نطق اللسان بما يهوى .
فكث عندها شهرا لا يدرى أهلها أين هو ، ثم أستاذنها فى الخروج . فقالت له :
بعد أن فضحتنى ؛ لا والله لا تخرج إلا بعد أن تزوجنى . ففعل وتزوجها . فولدت
منه أبنين ، أحدهما : جُوان ، وماتت عنده .

(١) فى الأصل : « استحييت » . وما أثبتنا من الديوان .

(٢) فى الأصل : « فردكم » . مكان « فكان لكم » وما أثبتنا من الديوان .

(٣) الخطب : الخاطب . (٤) هاه : كلمة وعيد ، حركت لضرورة الشعر .

هو وليابة امرأة
الوليد بن عتبة
في الطواف

وذكر أن عمر بن أبي ربيعة رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس ، زوجة
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، تطوف بالبيت ، فرأى أحسن خلق الله ، فكاد
عقله يذهب ، وسأل عنها فأخبر بنسبها ، فشرب بها وقال فيها :

ودع لبابة قبل أن تترحلاً وأسأل فإن قلالة^(١) أن تسألاً
إلبث بعمر ك ساعة وتأنها فلعل ما بحلت به أن يبذلاً
قال ائتمرو ما شئت غير مخالف فيما هويت فإننا لن نعجلاً
لسنا نبالي حين نقضى حاجة ما بات أو ظل المطى معقلاً
حتى إذا ما الليل جن ظلامه ونظرت غفلة حارس أن يعقلاً
خرجت تأطر في الثياب كأنها أئتم يسب على كتيب^(٢) أهياً
رحبت حين رأيها فبسمت لتحيتي لما رأتني مقبلاً
وجلا القناع سحابة مشهورة غراء نعشي الطرف أن يتأملاً
فلبت أرقها بما لو عاقل^(٣) يرقى به ما أسطاع ألا ينزلاً

آياته التي فيها
الفناء

وأيات عمر بن أبي ربيعة التي فيها الغناء ، وذكر أبو الفرج بعدها
أخبار عمر ، هي :

تشكى الكمية الجرئ لما جهده وبين لو يستطيع أن يتكلماً
لذلك أدنى دون خيلي مكانه وأوصى به ألا يهان ويكرماً
فقلت له إن ألق للعين قرّة فهان على أن تكل وتساماً
عديمت إذا وفري وفارقت مهجتي لن لم أقل قرناً^(٤) إن الله سلماً

(١) قلالة : قليله .

(٢) تأطر ، أي تتأطر ، بمعنى تتشى . والأيم : الحية . ويسب : يمضى في خفة . والكتيب :

الرميل اجتمع واحدودب . (٣) العاقل : الممتنع في الجبل .

(٤) الوف : الكثير الواسع من المال والمتاع . ولم أقل : من القليلة . وقرناً : يريد قرن

المنازل ، وهو مكان . أي : لن لم أقل فيه .

شيء عن العبلات

وهذه الأبيات يقولها عمر في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهم الذين يقال لهم العبلات ، سُموا بذلك لجدّة لهم يقال لها : عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل — وقيل خاذل ، بالذال — ابن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهى من بطن من تميم يقال لهم : البراجم .

قيل : كانت عبلة هذه عند رجل من بنى جُشم بن معاوية ، فبِعَها بأَنحاء^(١) سَمَن تَبِيعُها له بُعْكاظ . فباعَت السَمَن وراحتَين كان عليهما . وشربت بَشْمِها الخمر . فلما نَفِدَ ثَمْنُها رَهنت ابنَ أخيه وهربت . فطَلَّها زوجها . وقالت في شربها الخمر :

شَرِبْتُ بِرَاحِلَتِي مَحْجَنٍ فَيَاوَيْلَتِي مَحْجَنٌ قَاتِلِي
وَبَابِنِ أَخِيهِ عَلَى لَذَّةٍ وَلَمْ أَحْتَفَلْ عَذْلَ الْعَاذِلِ

فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ شَمْسٍ بِنَ عَبْدِ مَنْفٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُمِيَّةُ الْأَصْغَرُ ، وَعَبْدُ أُمِيَّةَ ، وَتَوَفَّلَا ، وَهُمُ الْعَبْلَاتُ .

عمر والثريا

قيل : كان عمر بن أبي ربيعة مُسَهَّبًا^(٢) بالثريا بنت علي الأموية هذه ، وكانت عُرْضَةً ذَلِكَ جَمَالًا وَتَمَامًا^(٣) ، وكانت تَصِيفُ بِالطَّائِفِ ، وَكَانَ عُمَرُ يَغْدُو عَلَيْهَا كُلَّ غَدَاةٍ ، إِذَا كَانَتْ بِالطَّائِفِ ، عَلَى فَرَسِهِ ، فَيُسَائِلُ الرُّكْبَانَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْفَاكِهَةَ مِنَ الطَّائِفِ عَنِ الْأَخْبَارِ قَبْلَهُمْ . فَلَقِيَ يَوْمًا بَعْضَهُمْ فَسَأَلَهُ عَنْ أَخْبَارِهِمْ . فَقَالَ : مَا اسْتَطَرَفْنَا خَبْرًا^(٤) ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ عِنْدَ رَحِيلِنَا صَوْتًا وَصِيحًا عَالِيًا عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، اسْمُهَا أَسْمُ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ، وَقَدْ سَقَطَ عَنْيَ اسْمُهُ . فَقَالَ عُمَرُ : الثُّرَيَّا ؟

(١) الانحاء : جمع نحى ، وهو الزرق ، وما كان للسمن خاصة .

(٢) المسهب : من أسقمه الحب وأذهب عقله .

(٣) أى أهلا لأن يشغف بها لجمالها وتامها . (٤) أى لم نقع على طريف نحدثك به .

قال : نعم . وقد كان بلغ عُمرَ قبل ذلك أنها عليلة ، فوجهَ فرسه على وجهه إلى الطائف ، يركضه ملءَ فروجه^(١) ، وسلكَ طريقَ كداء^(٢) ، وهو أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعته ، وهي تتشوّف له وتتشوّق . فوجدها سليمةً ومعهما أختاهما : رُضيّا وأمُّ عثمان ، فأخبرها الخبر . فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختبر مالى في نفسك . فقال عمر في ذلك :

تشكى الكمية الجزى لما جدهته وبين لو يستطيع أن يتكلما
الآيات المذكورة .

وقال مسleme بن إبراهيم : قلت لأيوّب بن مسleme : أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس :

حبذا الحج والثريا ومن بال خيف من أهلها ومثقى الرّحال
ياسليان إن تلاقى الثريا تلقى عيش الخلود قبل^(٣) الهلال
درة من عقائل البحر بكر لم تشنها مثاقب اللآل
تعقد المنزر السخام من الخرز على حقو بادن^(٤) مكسال

وذكر أن رجلاً من بني جُمح وُلدت له بنت ، فكانت جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسناً . فقال أبوها : كأنى بها وقد كبرت فنسب بها عمر بن أبي ربيعة وفضّحها ونوّه باسمها ، كما فعل بنساء قریش ، والله لا أقمت بمكة . فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة وأقام بها ، وأبتاع هناك ضيعةً . ونشأت ابنته من أجل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تر أحداً من بني جُمح حضر

(١) الفروج : ما بين قوائم الفرس . كناية عن شدة العدو .

(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .

(٣) يريد بالهلال : الدفعة من المطر : أى إن تلقى الثريا يخضب عيشك قبل أوان الخصب .

(٤) السخام : اللين . والحقو : معقد الأزار .

جَنَازَتَهُ، وَلَا وَجَدْتُ لَهَا مُسْعِداً وَلَا عَلَيْهَا دَاخِلاً . فَقَالَتْ لِدَايَةِ^(١) لَهَا سُودَاءُ : مَنْ
نَحْنُ ؟ وَمِنْ أَىِّ الْبِلَادِ نَحْنُ ؟ فَخَبَّرَتْهَا . فَقَالَتْ : لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَقْتُ فِي هَذَا
الْبَلَدِ الَّذِى أَنَا فِيهِ غَرِيبَةٌ . فَبَاعَتِ الضَّيْعَةَ وَالْدارَ وَخَرَجَتْ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ . وَكَانَ
عُمَرُ يَقْدَمُ فَيُعْتَمِرُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَيُحِلُّ، وَيَلْبَسُ الْحُلَّ وَالْوَشْيَ، وَيَرْكَبُ النَّجَاجِبَ
الْمَخْضُوبَةَ بِالْحِنَاءِ، عَلَيْهَا الْقُطُوعُ^(٢) وَالْدِّيَابِجُ، وَيُسَبِّلُ لِمَتِّهِ . وَيَتَلَقَّى الْعِرَاقِيَّاتِ
فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاتِ عِرْقٍ مُخْرِمَاتٍ، وَيَتَلَقَّى لَلْدَنِيَّاتِ [إِلَى مَرٍّ]، وَيَتَلَقَّى الشَّامِيَّاتِ
إِلَى الْكَدِيدِ . فَخَرَجَ يَوْمًا لِلْعِرَاقِيَّاتِ، فَإِذَا قُبَّةٌ مَكْشُوفَةٌ فِيهَا جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا الْقَمَرُ،
تُعَادِلُهَا جَارِيَةٌ سُودَاءُ كَالسَّبَجَةِ^(٣) . فَقَالَ لِلسُّودَاءِ : مَنْ أَيْنَ أَنْتِ يَا خَالَةَ ؟ فَقَالَتْ :
أَطَالَ اللَّهُ تَعَبَكَ ، إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ هَذَا الْعَالَمَ مِنْهُمْ وَمِنْ أَيْنَ هُمْ ! قَالَ : فَأَخْبِرْنِي
عَسَى أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ شَأْنٌ . قَالَتْ : نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَمَّا الْأَصْلُ وَالْمَنْشَأُ
فَمَكَّةُ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ وَدَخَلْنَا إِلَى بَلَدِنَا . فَضَحَكَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى سَوَادِ
تَنِيَّتِيهِ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْنَاكَ . قَالَ : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ . قَالَ :
وَبِمَا عَرَفْتَنِي ؟ قَالَتْ : بِسَوَادِ تَنِيَّتِيكَ وَبِهَيْئَتِكَ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَّا لِقْرِيشَ .
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا	مُقْصِدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ	أُمَيْدٌ سَوَّالَكَ ^(٤) الْعَالِمِينَ
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا	قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَزُ	تَ عَسَى أَنْ يَجْرَّ شَأْنُ شُؤْنَا
وَنَرَى أَنْنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْدِ	تَ بَظَنٍّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا

(١) الداية : المرضع ، وقد تلازم الطفلة حتى تشب .

(٢) هى ما يجعلها الراكب تحته . (٣) السبجة : الخرزة السوداء .

(٤) أميد : أى أمقسم سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى تعمهم .

بَسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَعْتٍ قَدْ نَرَاهُ لِنَاضِرٍ مُسْتَبِينَا
فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ بِهَا حَتَّى تَزَوَّجَهَا . فَوَلَدَتْ لَهُ .

هو ورملة
الخزاعية

وقد قيل : إنَّ عُمر قال هذا الشعر في رَمْلَةٍ بنت عبد الله بن خَلْفِ الْخَزَاعِيَّةِ ،
أخت طلحة الطلحات ، لما حَجَّتْ إلى مكة . وكانت رَمْلَةٌ هذه جَهْمَةٌ الوجه عظيمة
الأنف حَسَنَةُ الجسم . فتزَوَّجها عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وتزوَّج
عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله ، وجمع بينهما . فقال يوماً لعائشة : فعلتُ في مُحاربة
الخوارج مع أبي فديك كذا ، وصنعتُ كذا ، يذكُرُ لها شجاعته وإقدامه . فقالت
له عائشة : أنا أعلمُ أنك أشجع الناس ! وأعرفُ لك يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي
ذكرته . قال : وما هو ؟ قالت : يوم أُجْتَلِيتَ رَمْلَةٌ وأقدمتُ على وجهها وأنفها .

وقال عمر بن أبي ربيعة في رَمْلَةٍ :

قُمْ تَأْمَلْ وَأَنْتِ أَبْصُرُ مَنِي هل تَرَى بِالْغَمِيمِ ^(١) مِنْ أَجْمَالِ
قَاضِيَاتِ لُبَانَةٍ مِنْ مُنَاخٍ وَطَوَافٍ وَمَوْقِفٍ ^(٢) بِالْخِيَالِ
ومنها :

فَسَقَى اللَّهُ مُنْتَوَى أُمِّ عَمْرٍو حَيْثُ أَمَّتْ بِهَا صُدُورُ الرِّحَالِ
حَبْدًا هُنَّ مِنْ لُبَانَةٍ قَلْبِي وَجَدِيدُ الشَّبَابِ مِنْ سِرْبَالِي
رُبَّ يَوْمٍ أَتَيْتُهُنَّ جَمِيعًا عِنْدَ بَيْضَاءِ رَخْصَةٍ مِكْسَالِ
غَيْرَ أَنِّي أَمْرُوًا تَعَمَّمْتُ حَامًا يَكْرَهُ الْجَهْلَ وَالصَّبَا أَمْشَالِي

وذكر أن أُمَّ نُوْفَلٍ ، وهى أُم ولد [عبد الله بن الحارث] أبى الثَّريَّا ، أنشدت
الثَّريَّا قول عُمر بن أبي ربيعة :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينَا مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
فقالت : إِنَّهُ لَوْ قَاحُ صَنَعَ ^(٣) بِلِسَانِهِ ، وَلَئِنْ سَلِمْتُ لَهُ لِأَرْدَنَ مِنْ شَأُوهِ ،
وَلَأُثْنِينَ مِنْ عِنَانِهِ . وَلَا عَرَفْتَهُ نَفْسَهُ . فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

(١) الغيم : موضع قرب المدينة . (٢) الخيال : أرض لبني تغلب . (٣) الصنع : الحاذق .

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قبله ساكنين مكة حِينَا
قالت : عَمَرْتُهُ الْجَهْمَةُ . فلما بلغت إلى قوله :

قد صدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَذِ تَعْسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
قالت : رَمَتْهُ الْوَرَهَاءُ ^(١) بآخر ما عندها في حال واحدة ، وهجرتُ عُمَرَ .
وقيل : إِنَّهُ لَمَا بَلَغَ الثَّرِيَا قَوْلُهُ :

الثرىا وقد بلغها
شعر له في رملة

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتُهُ نُوْرَ بَدْرِ يُضِيءُ لِلنَّاظِرِينَ
قالت : أَفِّ لَه ! مَا أَكْذَبَهُ ! لَنْ تَرْتَفِعَ حَسَنَاهُ بِصَفْتِهِ لَهَا بَعْدَ رَمَلَةٍ .
قيل : لَمَّا صَرَمْتُ الثَّرِيَا عَمَرَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ ، قَالَ فِيهَا :

ابن أبي عتيق بين
الثرىا وعمر

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذُرْعًا بِهَجْرَهَا وَالْكِتَابِ
سَلَبْتَنِي مَجَاجَةَ الْمِسْكَ ^(٢) عَقْلِي فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَذِيمِ الْخَلْدَيْنِ مَا هِ الشَّبَابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ ^(٣) بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ
وَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلُهُ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذُرْعًا بِهَجْرَهَا وَالْكِتَابِ

قال : إِيَّايَ أَرَادَ ، وَبِي نَوَّهَ ، لَا جَرَمَ ، وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ أَكْلًا ^(٤) حَتَّى أَشْخَصَ
فَأُصْلِحَ بَيْنَهُمَا . قَالَ بِلَالٌ ، مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : فَتَنَضَّ وَتَهَضَّتْ مَعَهُ ، فَجَاءَ إِلَى
قَوْمٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ ، لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُهُمْ نَجَائِبَ لَمْ فَرُّهُ ^(٥) يُكْرُوْنَهَا ،

(١) الورهاء : الحمقاء . (٢) مجاجة : أى إن ريقها طيب كالمسك .

(٣) بهراً : جماً . وقيل : عجباً .

(٤) الأكل : ما يؤكل .

(٥) فره : من جموع فاره ، وهى الدابة النشيطة القوية .

فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم . فقلت له : أَسْتَوْضِعُهُمْ ، أَوْ دَعْنِي أَمَا كِنْتُمْ فَقَدْ
أَسْتَطَوْا عَلَيْكَ . فقال : ويحك ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ !
ثُمَّ رَكِبَ إِحْدَاهُمَا وَرَكِبْتُ الْآخَرَى ، فَسَارَ سَيْرًا شَدِيدًا . فقلتُ : أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ ،
فَإِنَّ مَا تُرِيدُ لَا يَفُوتُكَ . فقال : ويحك !

* أَبَادِرُ حَبْلُ الْوُدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا *

وما حلاوة الدنيا إنَّ تَمَّ الصَّدْعُ بَيْنَ عُمَرَ وَبَيْنَ الثَّرِيَا .

فَقَدِمْنَا مَكَّةَ لَيْلًا غَيْرَ مُحْرَمِينَ . فَدَقَّ عَلَى عُمَرَ بَابَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَنْزِلْ
عَنْ رَاحِلَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : ارْكَبْ أَصْلَحَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الثَّرِيَا ، فَإِنِّي رَسُولُكَ الَّذِي سَأَلْتَ
عَنْهُ . فَرَكِبَ مَعَهُ ، وَقَدِمْنَا الطَّائِفَ . وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَاضِيًا أُمَّ نَوْفَلٍ ، فَكَانَتْ
تَطْلُبُ لَهُ الْحِيلَةَ لِإِصْلَاحِهَا وَلَا يُمَكِّنُهَا . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ لِلثَّرِيَا : هَذَا عُمَرُ قَدْ
جَسَّ مَنَى السَّفَرِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَيْكَ ، فَجِئْتُكَ بِهِ مُعْتَرِفًا لَكَ بِذَنْبٍ لَمْ يَجْنِهِ ، مُعْتَذِرًا إِلَيْكَ
مِنْ إِسَاءَتِهِ إِلَيْكَ ، فَدَعِينِي مِنَ التَّعْدَادِ وَالتَّرْدَادِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ . فَصَالَحْتُهُ أَحْسَنَ صُلْحٍ وَأَتَمَّهُ وَأَجْمَلَهُ . وَكَرَّرْنَا إِلَى مَكَّةَ ^(١) ، فَلَمْ
يَنْزِلْهَا ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ حَتَّى رَاحَلَ . وَزَادَ عُمَرُ فِي أَيْيَاتِهِ :

أَزْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَيْتُهَا مُهْجَتِي مَا لَقَاتِلِي مِنْ ^(٢) مَتَابِ

حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ

فَأَسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَسَبَى رَجَالُ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَدِينَةُ » .

(٢) أَزْهَقْتُ : أَبْطَلْتُ وَأَذْهَبْتُ . يُرِيدُ : أَذْهَبْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ نَفْسِي إِذْ دَعَتِ الثَّرِيَا لَوْصَالِي

فَلَمْ تَجِبْهَا .

وسُئِلَ عُمَرُ عَنْ قَوْلِهِ :

« ... كَمَا لَبَّى رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ »

قال : كَرَّرْتُ فِي التَّلْبِيَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْحُرْمُ ، فَقَالَتْ : لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ !
وقيل : كَانَتْ الثَّرِيَا تَصُبُّ عَلَيْهَا جَرَّةٌ مَاءٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ ، وَلَا يُصِيبُ ظَاهِرَ فَخْذَيْهَا
مِنْهُ شَيْءٌ ، مِنْ عِظَمِ عَجِيزَتِهَا .

وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ [بْنِ مُحَمَّدٍ] بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، فَلَمَّا
اسْتَلْقَى قَالَ : أَوْه ! وَأَنشَد :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَقْتُ ذَرْعًا بِهِجَرَهَا وَالْكِتَابِ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ بَلَغَهَا ذَلِكَ غَيْرِي . فخرَجَ حَتَّى
إِذَا كَانَ بِالْمَصْلِيِّ مَرًّا بِنُصَيْبٍ وَهُوَ واقِفٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . قَالَ : لَبَّيْكَ !
قَالَ : أَتُودِعُ إِلَى سَلَمَى شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : تَقُولُ لَهَا
يَا بَنَ الصَّدِيقِ : إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي فَقُلْتَ لِي : أَتُودِعُ إِلَيْهَا شَيْئًا ؟ فَقُلْتَ :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَلَمَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الْعَزْمِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلِقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَارِ أَطِيرُ

قال : فَمَرَّ بِسَلَمَى وَهِيَ بَقْرِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا « الْقَسْرِيَّة » فَأَبْلَغَهَا الرِّسَالَةَ ، فَزَفَرَتْ
زَفْرَةً كَادَتْ تَفَرِّقُ بَيْنَ أَضْلَاعِهَا . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ لَمْ
يَكُنْ جَوَابُكَ أَحْسَنَ مِنْ رِسَالَتِهِ ، وَلَوْ سَمِعْتُكَ الْآنَ لَنَعَقْتُ وَصَارَ غُرَابًا . ثُمَّ صَارَ
إِلَى الثَّرِيَا وَأَبْلَغَ الْكِتَابِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَمَّا وَجَدَ رَسُولًا أَصْغَرَ مِنْكَ ! أَنْزَلَ فَأَرَحَ .
فَقَالَ : لَسْتُ إِذْنُ بَرَسُولٍ . وَسَأَلَهَا أَنْ تَرْضَى عَنْهُ . ففَعَلَتْ .

غناء ابن عائشة
في مجلس الحسن
بشعر عمر

وقيل : أجمع ابن عائشة، ويونس، ومالك، عند الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب عليهم السلام . فقال الحسن لأبن عائشة : غنني : « من رسول إلى
الثريا » . فسكت عنه فلم يجبه . فقال له الحسن : مالك ! ويحك ! أليك خبال ؟
كان والله ابن أبي عتيق أجود منك بما عنده، فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي
ربيعة : أنا رسولك إليها . فضى نحو الثريا حتى أدى رسالته، وأنت معنا في المجلس
تبخل أن تغنيه لنا ! فقال له : لم أذهب حيث ظننت ، إنما كنت أتخير أي
الصوتين أغني ، أقوله :

من رسول إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
أم قوله :

من رسول إلى الثريا فإني ضاقتي هم وأغترتني الغيوم
يعلم الله أنني مستهام بهواكم وأنني مرخوم
فقال الحسن : أسأنا بك الظن أبا جعفر ، غن بهما جميعاً . فغنناهما . فقال له
الحسن : لولا أنك تغضب إذا قلنا : أحسنت ! لقلنا لك : أحسنت والله ! قال :
فلم يزل يردد ما بقيه يومه .

زواج الثريا
وشعر عمر

قيل : وتزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا . وقيل : بل تزوجها
سهيل بن عبد الرحمن بن عوف . ورجح أبو الفرج الأول . وفي ذلك يقول عمر :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت^(١) وسهيل إذا استقل يمان
وأول هذه القصيدة :

أيها الطارق الذي قد عناني بعد ما نام سامر الركباني
زار من نازح بغير دليل يتخطى إلى حتى أتاني

(١) استقلت : ارتفعت .

وقيل : إنه كتب إليها بعد أن تزوجت :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ مِنْ بِلْدِي كِتَابَ مُوَلِّهِ كِدِ
كُتِبَ وَكَفِ الْعَيْنَيْنِ بِالْحَسَرَاتِ مُنْفَرِدِ
يُورِّقُهُ لَهَبُ الشَّو قِ بَيْنَ السَّحَرِ وَالْكِدِ
فِيُمْسِكُ قَلْبَهُ يَدِ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ يَدِ
وكتبه في قُوهِية^(١) وشنفه^(٢) وحسنه وبعث به إليها . فلما قرأته بكّت
بُكاءً شديداً ، ثم تمثّلت :

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَاعُ
وكتبت إليه :

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ أَمِدَّ بِكَافُورٍ وَمِسْكٍ وَعَنْهَ
وَقَرَّطَاسُهُ قُوهِيةٌ وَرِبَاطُهُ بَعْقَدُ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرُ
وَفِي صَدْرِهِ مِنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ لَقَدْ طَالَ تَهْنِئَتِي بِكُمْ وَتَذَكُّرِي
وَعُتُونَاهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَادُهُ إِلَى هَائِمٍ صَبٍّ مِنَ الْحُزْنِ مُسْعَرِ

وقيل : ثم توفي عنها سهيل أو طلقها : فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وهو خليفة بدمشق ، في دَيْنَ عليها . فبينما هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، إذ دخل عليها الوليد ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : الثريا ، جاءتنِي أَطْلُبُ إِلَيْكَ قِضَاءَ دَيْنٍ عَلَيْهَا وَحَوَائِجَ لَهَا . فأقبل عليها الوليد فقال : أَتَرْوِينِ مِنْ شَعْرِ عُمَرُ شَيْئاً ؟ فقالت : نعم ، أما إنه يَرْحِمُهُ اللَّهُ كَانَ عَفِيفاً ، عَفِيفَ الشَّعْرِ ، أَرَوِي قَوْلَهُ :

عبد الملك والثريا
بعد موت سهيل

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيَّيْنِ لَوْ بَيَّـنَ رَجَعَ السَّلَامُ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فَإِلَى قَصْرِ ذِي الْعُشَيْرَةِ فَالْصَا نَفِ أَمْسَى مِنَ الْأَنْسِ يَبَابَا

(١) قوهية . نسبة إلى قوهستان . (٢) شنفه : جعل له رباطاً .

وبما قد أرى به حَيَّ صِدْقٍ ظاهري العيشِ نعمةً وشباباً
إذ فؤادي يهوى الرِّبَابَ وأني الدَّهْرَ حتى الماتِ أنسى الرِّبَابَا
وحساناً جَوَارِيًا خِفِرَاتٍ حافظاتٍ عند الهوى الأحسابا
لا يُكثَرْنَ في الحديثِ ولا يَتَّبَعْنَ يَتَعَقَّنَ بالبهام^(١) الظُّرَابَا
فقضى حوائجها ، وأنصرفت بما أرادت منه .

فلما خلا الوليدُ بأم البنين قال : لله درُّ الثريَّا ! هل تدَّرين ماذا أرادت
بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر ؟ قالت : لا . قال : إني لما عرضت لها به
عرضت لي بأن أُمِّي أعرايية .

وأم الوليد وسليمان : ولادة بنت العباس بن جَزَى بن الحارث بن زهير
ابن جذيمة العبسي .

هو والثريا بعد
زواجهما

وقيل : لما تزوج سهيل بن عبد العزيز بالثريا ونقلها إلى الشام ، بلغ عمر
ابن أبي ربيعة الخبر ، فوجدها قد رحلت يومئذ ، فخرج في إثرها فلحقها على
مرحلتين . وكانت قبل ذلك مهاجرة له لأمرٍ أنكرته عليه . فلما أدرهم نزل عن
فرسه ودفعه إلى غلامه ، ومشي متكرراً حتى مرَّ بالخيمة التي فيها الثريا ، فعرفته
وأثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضتها : كليه . فسألت عليه وسألته عن حاله ،
وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه . فاعتذر وبكى . فبكت الثريا وقالت : ليس هذا وقت
العتاب مع وشك الرِّحيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر . ثم ودعها ، وبكى
طويلاً . وقام فركب فرسه ، ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون ، وأتبعهم بصره حتى
غابوا . فأنشأ يقول :

(١) التقيق : دعاء الراعي الشاء . والبهام : الصغار من أولاد الضأن والمغز والبقر والوحش
وغيرها . والظراب : الروابي الصغار .

يا صاحبي فقا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَا
عن حالٍ مَنْ حَلَّه بِالْأَمْسِ مَافَعَلَا
فقال لى الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ
إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلَا
لَمَّا وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَحْتُ
هُوَ أَتَى الْبَيْنَ وَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلَا
صَدَّتْ بَعَادًا وَقَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا
بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتَ وَاسْتَمَعِي
مَازَا يَقُولُ وَلَا تَعَيِّي بِهِ جَدَلَا
وَإِنْ أَتَى الذَّنْبَ مِمَّنْ يَكْرَهُ الْعَدَلَا
وَأَنْتِ أَسْمَى فَلَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي لَطْفٍ
هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُخْلًا لِأَعْذِرَهَا
مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ
مَا إِنْ أَطَعْتُ بِهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ
إِنِّي لِأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطَتِهِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

وقيل إنَّ عمر بن أبي ربيعة نظر في الطَّواف إلى امرأة شريفة . فرأى أحسنَ
النَّاسِ صورةً ، فذهب عقله عليها ، وكلَّها فلم يُجبه . فقال فيها :

هو امرأة شريفة
رأها في الطَّواف

الرَّيْحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِمَّنْ تَسْحَبُ الرَّيْحُ
كَيْفَا تَجْرُ بِنَا ذِيلاً فَتَطْرَحُنَا
عَلَى الَّتِي دُونَهَا مُغْبِرَةٌ ^(١) سُوح
أَنْ يَبْقُرَ بِكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي بِكُمْ
هِيَ هَاتِ ذَلِكَ مَا أُمْسَتْ لَنَا رُوحُ
فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْتَقَى يَكُونُ بِهَا
بَلْ لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْتَقَى تَبَارِجُ
إِحْدَى بُدَيَّاتِ عَمَى دُونَ مَنْزِلِهَا
أَرْضُ بَقِيعَانِهَا الْقَيْصُومُ ^(٢) وَالشَّيْخُ

(١) المغبرة ، الفلاة . والسوح : الساحات ، جمع ساحة .

(٢) القيصوم : نبت طيب الريح ، وكذلك الشيخ .

فبلغها شعره فجَزَعَتْ منه . فقيل لها : أَذْكَرِيهِ لَزَوْجَكَ ، فإنه سَيُنْكَرُ عليه قوله . فقالت : كلا والله ، لا أَشْكُوهُ إِلَّا لله . ثم قالت : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ نَوَّهَ بِأَسْمَى ظَالِمًا ، فَاجْعَلْهُ طَعَامًا لِلرَّيْحِ .

فَضْرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ ^(١) . ثُمَّ إِنَّهُ غَدَا يَوْمًا عَلَى فَرَسٍ ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَانْزَلَتْ فَاسْتَتَرَ بِقَفْلَةٍ ^(٢) ، فَعَصَفَتْ الرِّيحُ ، فَخَدَشَهُ غُصْنٌ مِنْهَا ، فَدَمِيَ وَوَرِمَ بِهِ . فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ .

(١) أى مرت مدة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه .

(٢) القفلة : واحدة القفل . وهو شجر يابس لا ينبت إلا بمنجاة من السيل .